في فضل الفاتحة
وذكر أسمائها[1]

قال رسول الله ﷺ لأُبَيٍّ بن كعب: «**كيف تقرأ القرآن في الصلاة؟**» فقرأ أم القرآن، فقال: «**والذي نفسي بيده، ما أنزلت في التوراة، ولا في الإنجيل، ولا في الزبور، ولا في القرآن سورة مثلها؛ فإنها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيت**»[2].

وعن الحسن أن الله تعالى أنزل مائة وأربعة، كتب وأودع علومها في أربعة؛ في التوراة، والإنجيل، والزبور، والقرآن، وأودع علم القرآن في المفصل، وهو من الحجرات إلى آخر القرآن، وأودع ذلك في الفاتحة، ففيها علم كل كتاب أنزل الله تعالى، ومن قرأها فكأنما قرأ جميع الكتب المنزلة[3].

وبيان ذلك أن جميع أسماء الله تعالى في ضمن اسمه؛ الله هذا هو الاسم الجامع، وفيه معنى الجلال، وفي ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾. معنى الجمال، وكل ما ورد من الثناء الحسن على ما الله تعالى في قوله: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾. فإن الحمد جامع لكل ثناء حسن، وكل ما ورد في ذكر المخلوقات في قوله: ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾. فإن العالم لفظة تدل على كل موجود سوى الله تعالى، وكل ما ورد من الإكرام والإنعام والإحسان إلى سائر الخلق في ضمن قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾. وكل ما ورد في ذكر القيامة والحساب والثواب والعقاب

---

(١) من كتاب نزهة الناظرين.

(٢) الترمذي (٣١١٥).

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢/ ٣٦١.

في ضمن قوله: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾. وكل ما ورد في الأحكام من الأمر والنهي وجميع الفقه في ضمن قوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾. وكل ما ورد في التوحيد ورؤية الأفعال من الله تعالى وعدم ملاحظة الأسباب في ضمن: ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾. وكل ما ورد في سلوك الطريق؛ من التوبة والمحاسبة والخوف والرجاء والمراقبة والحياء والزهد والورع، وغير ذلك في ضمن قوله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ ﴾. وكل ما ورد في ذكر الأنبياء والأولياء والصديقين والشهداء والصالحين في ضمن قوله: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾. وقد بين الله تعالى ذلك في قوله: ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[1]. وكل ما ورد في ذكر الأعداء؛ من الكفار والفجار والمنافقين في ضمن قوله: ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾. وكل ما ورد في القرآن مفصلا ورد في الفاتحة مجملا، ولذلك سُميت أم القرآن، وأم الكتاب، وفاتحة الكتاب، وتسمي الكافية؛ لأنها تكفي في الصلاة، فما كان منها من الثناء فعلى الله، وما كان منها من الدعاء فللعبد. حكي هذا الكلام جميعه عن الشيخ العالم عبد العزيز الديرني، رَحِمَهُ اللهُ تعالى.

وذكر القرطبي - رَحِمَهُ اللهُ - في تفسيره للفاتحة اثنى عشر اسما[2]:

الأول: الصلاة؛ قال الله تعالى: «**قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين..**» الحديث[3].

الثاني: الحمد؛ لأن فيها ذكر الحمد، كما يقال: سورة الأعراف والأنفال والتوبة، ونحوها.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٩..

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١/ ١١١.

(٣) أخرجه عبد الرزاق (٢/ ١٢٨، رقم ٢٧٦٧)، وأحمد (٢/ ٢٨٥، رقم ٧٨٢٣)، وأبو داود (١/ ٢١٦، رقم ٨٢١)، ومسلم (١/ ٢٩٦، رقم ٣٩٥)، والترمذي (٥/ ٢٠١، رقم ٢٩٥٣)، وقال: حسن. والنسائي (٢/ ١٣٥، رقم ٩٠٩)، وابن ماجه (٢/ ١٢٤٣، رقم ٣٧٨٤)، وابن حبان (٥/ ٨٤، رقم ١٧٨٤).

الثالث: فاتحة الكتاب؛ لأنه يفتتح قراءة القرآن بها وكتابة المصحف.

الرابع: أم الكتاب، جوزه الجمهور وكرهه أنس والحسن وابن سيرين، قال الحسن: أم الكتاب الحلال والحرام؛ قال الله تعالى: ﴿ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾[1]. وقال أنس وابن سيرين: أم الكتاب اللوح المحفوظ؛ قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾[2].

الخامس: أم القرآن، جوزه الجمهور، وكرهه أنس وابن سيرين، والأحاديث الثابتة ترد هذين القولين؛ روى الترمذي عن أبي هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله ﷺ: **«الحمد لله أم القرآن، وأم الكتاب، والسبع المثاني»**[3]. وهذا الحديث حسن صحيح.

السادس: السبع المثاني؛ لأنها تثني في كل ركعة

السابع: القرآن العظيم، سميت بذلك لتضمنها علوم جميع القرآن؛ وذلك لأنها تشمل الثناء على الله - عز وجل - بأوصاف كماله وجلاله، وعلى الأمر بالعبادات والإخلاص فيها والاعتراف بالعجز عن القيام بشيء منها إلا بإعانة الله تعالى، وعلى الانتهاء إليه في الهداية إلى الصراط المستقيم وكفاية أحوال الناكثين، وعلى عاقبة بيان الجاحدين.

الثامن: الشفاء، روى الدارمي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: **«فاتحة الكتاب شفاء من كل سم»**[4].

التاسع: الرقية، ثبت ذلك من حديث أبي سعيد الخدري، وفيه أن رسول الله ﷺ قال للرجل الذي رقى سيد الحي: **«ما أدرك أنها رقية؟»** فقال: يا رسول الله، شيء ألقي في

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧. (٢) سورة الزخرف، الآية: ٤.

(٣) الترمذي (٥/ ٢٩٧، رقم ٣١٢٤) وقال: حسن صحيح. وأخرجه أيضا أبو داود (٢/ ٧١، رقم ١٤٥٧)، وأحمد (٢/ ٤٤٨، رقم ٩٧٨٩)، والدارمى (٢/ ٥٣٩، رقم ٣٣٧٤).

(٤) الدارمى (٢/ ٥٣٨، رقم ٣٣٧٠)، وأخرجه أيضا سعيد بن منصور (٢/ ٥٣٥، رقم ١٧٨)، والبيهقي فى شعب الإيمان (٢/ ٤٥٠، رقم ٢٣٦٨). والديلمي (٣/ ١٤٤، رقم ٤٣٨٥).

روعي.. الحديث[1].

العاشر: الأساس، قال ابن عباس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُما-: لكل شيء أساس وأساس القرآن الفاتحة[2].

الحادي عشر: الوافية؛ لأنها لا تتنصف، ولو قرئ من سائر السور نصفها في ركعة ونصفها في ركعة لأجزأ، ولو تُنصفت الفاتحة في ركعتين لم تجز.

الثاني عشر: الكافية لأنها تكفي عن سواها، ولا يكفي سواها عنها، يدل عليه ما روى محمد بن خلاد الإسكندراني قال: قال رسول الله ﷺ: «**أم القرآن عوض من غيرها، وليس غيرها عوضا منها**»[3].

* * *

قال ابن العربي المالكي[4]:

وفضلها على غيرها يكون من **سبعة أوجه**:

الأول: أن الشيء قد يشرف بذاته كشرف الله - عز وجل - على خلقه، وليس هذا لـ: فاتحة الكتاب؛ لأن الذاتية في الكل واحدة، وهي كلام الله تعالى.

الثاني: أن الشيء قد يشرف بصفاته، وذلك للبارئ سبحانه على الحقيقة والإطلاق دون سائر المخلوقات؛ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[5]. وفي

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٠، رقم ١١٠٨٥) والبخاري (٢/ ٧٩٥، رقم ٢١٥٦)، ومسلم (٤/ ١٧٢٧، رقم ٢٢٠١)، وأبو داود (٤/ ١٤ رقم ٣٩٠٠)، والترمذي (٤/ ٣٩٨ رقم ٢٠٦٣) وقال: حسن. والنسائي في الكبرى (٦/ ٢٥٥، رقم ١٠٨٦٨) وابن ماجه (٢/ ٧٢٩، رقم ٢١٥٦).

(٢) عزاه في الدر المنثور ٩/ ٦٧ إلى ابن النجار في تاريخه.

(٣) أخرجه الدارقطني (١/ ٣٢٢)، والحاكم (١/ ٣٦٣، رقم ٨٦٧)، والديلمي (١/ ٤١٧، رقم ١٦٨٨).

(٤) القبس ١/ ٢٠٤.

(٥) سورة الشورى، الآية: ١١.

الفاتحة شيء من هذا الشرف، وبهذا شرف النبي ﷺ على سائر الآدميين؛ لأن الذات له ولهم واحدة، وإنما شرف بالصفات وهي عظيمة متعددة، وقعت الإشارة إلى أفضلها في قوله: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾[1]. ووقع التنبيه على جميعها في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[2].

وفي الفاتحة من الصفات ما ليس في غيرها حتى قيل: إن جميع القرآن فيها. وهي عشرون كلمة تضمنت جميع علوم القرآن، ومن شرفها أن الله تبارك وتعالى قسمها بينه وبين عبده[3]، وهو الثالث.

الرابع: أنه لا تصح القراءة إلا بها[4].

الخامس: أنه لا يلحق عمل بثوابها، ولله تعالى أن يفاضل بين الثواب في الفعلين وإن استويا. ولهذه المعاني كلها صارت القرآنَ العظيمَ كما صارت: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ﴾ تعدل ثلث القرآن[5]؛ إذ القرآن توحيد وأحكام ووعظ، و: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١١٠.
(٢) سورة القلم، الآية: ٤.

(٣) يشير إلى الحديث القدسي: «يقول الله: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين...» الحديث. أخرجه عبد الرزاق (٢/ ١٢٨، رقم ٢٧٦٧)، وأحمد (٢/ ٢٨٥، رقم ٧٨٢٣)، وأبو داود (١/ ٢١٦، رقم ٨٢١)، ومسلم (١/ ٢٩٦، رقم ٣٩٥)، والترمذي (٥/ ٢٠١، رقم ٢٩٥٣)، وقال: حسن. والنسائي (٢/ ١٣٥، رقم ٩٠٩)، وابن ماجه (٢/ ١٢٤٣، رقم ٣٧٨٤)، وابن حبان (٥/ ٨٤، رقم ١٧٨٤).

(٤) لما ورد أن النبي: «كل صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج»... الحديث.
أخرجه أحمد (٦/ ٢٧٥، رقم ٢٦٣٩٩)، وابن أبي شيبة (١/ ٣١٧، رقم ٣٦٢٠)، وابن ماجه (١/ ٢٧٤، رقم ٨٤٠)، والبيهقي في القراءة خلف الإمام (١/ ٤٨، رقم ٩١). قال الهيثمي (٢/ ١١١): رواه الطبراني في الصغير، وفيه ابن لهيعة، وفيه كلام.

(٥) وقد ورد في شأنها أحاديث كثيرة، منها:
قوله ﷺ: «احشدوا فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن فقرأ ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ﴾، وقال ألا وإنها تعدل ثلث القرآن».
أخرجه أحمد (٢/ ٤٢٩، رقم ٩٥٣١)، ومسلم (١/ ٥٥٧، رقم ٨١٢)، والترمذي (٥/ ١٦٨، رقم ٢٩٠٠)، وقال: حسن صحيح غريب. وأخرجه أيضا: إسحاق بن راهويه (١/ ٢٥٥ رقم ٢٢١)، =

أَحَدٌ ﴿١﴾ ﴾ فيها التوحيد كله.

وبهذا المعنى وقع البيان في قوله ﷺ لأبي بن كعب: «**أي آية في القرآن أعظم؟**». قال: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾[1]. قال: «**ليهنك العلم يا أبا المنذر**»[2]. وإنما كانت أعظم آية؛ لأنها توحيد كلها، كما صار قوله ﷺ: «**أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله..**» الحديث[3]. أفضل الذكر؛ لأنها كلمات حوت جميع علوم التوحيد، و: الفاتحة تضمنت التوحيد والعبادة والوعظ والتذكير، ولا يستبعد ذلك في قدرة الله تعالى؛ فإن الله - عز وجل - جمع التوحيد كله في آية الكرسي، ثم جمعه في أقل حروفا[4] منها

= وأبو يعلى (١١/ ٤٠ رقم ٦١٨٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٥٠٤، رقم ٢٥٣٧).
ومنها أيضا: «أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة فشق ذلك عليهم فقال يقرأ ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ﴾، فهي تعدل ثلث القرآن» وقد رواه أكثر من صحابي كالتالي:
حديث أبي سعيد: أخرجه أحمد (٣/ ٨، رقم ١١٠٦٨)، والبخاري (٤/ ١٩١٦، رقم ٤٧٢٧)، وأبو يعلى (٢/ ٢٩٥، رقم ١٠١٨).
حديث ابن مسعود: أخرجه ابن حبان (٦/ ٣١٤، رقم ٢٥٧٦)، والطبراني (١٠/ ٢٠٧، رقم ١٠٤٨٤)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ١١٧).
حديث أبي مسعود: أخرجه الطبراني (١٧/ ٢٥٥، رقم ٧٠٨)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٥٤).
حديث أبي أيوب: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٥٠٧، رقم ٢٥٤٤).
حديث أبي هريرة: أخرجه الخطيب (١٠/ ١٦٩).

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٢) أخرجه الطيالسي (ص ٧٤، رقم ٥٥٠)، وأحمد (٥/ ١٤١، رقم ٢١٣١٥)، وعبد بن حميد (ص ٩٢، رقم ١٧٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٤٥٦، رقم ٢٣٨٧)، ومسلم (١/ ٥٥٦، رقم ٨١٠)، وأبو داود (٢/ ٧٢، رقم ١٤٦٠)، والحاكم (٣/ ٣٤٤، رقم ٥٣٢٦) وقال: صحيح الإسناد.

(٣) أخرجه مالك (١/ ٢١٤، رقم ٥٠٠)، والبيهقي (٥/ ١١٧، رقم ٩٢٥٦) وقال: هذا مرسل وقد روى عن مالك بإسناد آخر موصولا ووصله ضعيف. أخرجه أيضا: الطبراني في الدعاء (١/ ٢٧٣، رقم ٨٧٤). قال المباركفوري في تحفة الأحوذي (١٠/ ٣٣): قال القاري: رواه الطبراني وسنده حسن جيد كما قاله الأذرعي.

(٤) في ج، م: «حروف»

وهو: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾، ثم جمعه لرسوله ﷺ في كلمات يوم عرفة المتقدمة، ثم جمع علوم القرآن في الفاتحة، ثم جمعها في آيتين[1]:

- قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾[2].
- والثانية: قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ ﴾[3].

ثم جمعها في آية واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾[4]. وقوله: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا ﴾[5].

السادس: أنه قال: السبع. وهي سبع آيات تضمنت – كما قدمناه– من العلوم ما لم يتضمن سواها في قدرها.

السابع: المثاني. وهي مثان بمعاني:

- منها: ما تشترك فيه مع القرآن في قوله: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ ﴾[6].
- ومنها: ما تنفرد به، وهي أنها تثنى في كل ركعة.
- ومنها: أن الله تعالى جعلها قسمين بينه وبين عبده فقال: «هذه بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل»[7].

---

(١) في د، م: «اثنين»
(٢) سورة الطلاق، الآية: ١٢.
(٣) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.
(٤) سورة الحجر، الآية: ٨٥.
(٥) سورة المؤمنون، الآية:: ١١٥.
(٦) سورة الزمر، الآية: ٢٣.
(٧) يشير إلى الحديث القدسي: «يقول الله: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين...» الحديث. أخرجه عبد الرزاق (٢/ ١٢٨، رقم ٢٧٦٧)، وأحمد (٢/ ٢٨٥، رقم ٧٨٢٣)، وأبو داود (١/ ٢١٦، رقم ٨٢١)، ومسلم (١/ ٢٩٦، رقم ٣٩٥)، والترمذي (٥/ ٢٠١، رقم ٢٩٥٣)، وقال: حسن. والنسائي (٢/ ١٣٥، رقم ٩٠٩)، وابن ماجه (٢/ ١٢٤٣، رقم ٣٧٨٤)، وابن حبان (٥/ ٨٤، رقم ١٧٨٤).

ومنها: أنها قسمان؛ ثناء ودعاء.

ومنها: أنها وردت على الازدواج؛ اثنين اثنين، قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾. وهذا كله مثنى[1]، ويصح أن تكون مثاني بهذه المعاني كلها، ويصح أن تكون ببعضها.

وذكر أنها سبع آيات؛ كما ذكر ﷺ أن سورة الملك ثلاثون آية[2]. وتقدير[3] الآي من معضلات القرآن، وقد صح عنه ﷺ من حديث ابن عباس، أنه قال: فقرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران[4].

ومن آيات القرآن طويل وقصير، ومنه[5] ما ينقطع، ومنه ما ينتهي إلى تمام الكلام، ومنه ما يكون في أثنائه كقوله: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾. على مذهب أهل المدينة، فإنهم يعدونها آية، وينبغي أن يعول في ذلك على ما نقل السلف وما تقلدوه.

حديث: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي» إلى آخره.[6]

---

(١) في د: «ثناء»

(٢) لقول النبي ﷺ: «إن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له وهي ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾».
أخرجه أحمد (٢/ ٢٩٩، رقم ٧٩٦٢)، والترمذي (٥/ ١٦٤، رقم ٢٨٩١)، والنسائي في الكبرى (٦/ ١٧٨، رقم ١٠٥٤٦)، وابن ماجه (٢/ ١٢٤٤، رقم ٣٧٨٦)، وابن حبان (٣/ ٦٧، رقم ٧٨٧)، وابن السني في عمل يوم وليلة (ص ٢٥٣، رقم ٦٨٨)، والحاكم (٢/ ٥٤٠، رقم ٣٨٣٨) وقال: صحيح الإسناد. وعبد بن حميد (ص ٤٢١، رقم ١٤٤٥).

(٣) في ج، م: «تعديد»

(٤) أخرجه مالك (١/ ١٢١، رقم ٢٦٥)، أخرجه عبد الرزاق (٣/ ٣٧، رقم ٤٧٠٨).

(٥) في د: «منها»

(٦) الحديث في الموطأ برقم (١٨٨):
عن مالك عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب أنه سمع أبا السائب مولى هشام بن زهرة يقول: =

قولـه: «يقول اللـه: حمدني عبـدي، وأثنى، ومجـد». التمجيد ثناء وتحميـد، والثناء حمـد وتمجيـد، وكل واحد منهما يعبـر به عن صاحبه، ولكنه خـص كل واحد منهما بمعناه الأخـص، فخصيصة الحمد التمجيد[1]، هـو هو، وهو[2] أعظم[3] صفات الثناء؛ لأنه يتضمن الثنـاء بمـا هو المثنـى عليه في ذاته، وبما صدر عنه من فعله، والثناء هو ذكر محاسـن أفعاله، والتمجيـد هـو الإخبار عن صفاتـه التي فيها العلـو والعظمة؛ لأن المجد هو نهاية الشـرف، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[4]. والصفات العلى والأفعال التي لا تدانى، فهو المحمود، ومنه إفاضـة النعمة ابتداء، وإقالة العثرة، وحسـن التدارك بعد الزلة، وذلـك كله مصدره الرحمة، وله أن يهلك الخلق بأجمعهم، وأن يحسن إليهم كلهم، ولا يخاف عاقبة، ولا يرجو عوضا، فهـو المالك حقا، وخص يـوم الدين لعظيم[5] الأفعال التي فيه، ومـن ملك الأعظم والنهاية

= سـمعت أبا هريرة يقول سـمعت رسـول الله ﷺ يقول: «من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خـداج هـي خداج هي خداج غير تمام». قال: فقلت: يا أبا هريرة، إني أحيانا أكون وراء الإمام. قال: فغمز ذراعي ثم قال: اقرأ بها في نفسك يا فارسي فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تبارك وتعالى: قسـمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل». قال رسـول الله ﷺ: «اقـرءوا يقول العبـد: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ يقول اللـه تبارك وتعالى: حمدني عبدي. ويقول العبد: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ يقول الله: أثنى على عبدي. ويقول العبد: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾. يقـول اللـه: مجدني عبدي. يقـول العبـد: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾. فهذه الآية بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل. يقول العبد: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ فهؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل».

التخريج:

أخرجه عبد الرزاق (٢/ ١٢٨، رقم ٢٧٦٧)، وأحمد (٢/ ٢٨٥، رقم ٧٨٢٣)، وأبو داود (١/ ٢١٦، رقـم ٨٢١)، ومسـلم (١/ ٢٩٦، رقـم ٣٩٥)، والترمـذي (٥/ ٢٠١، رقـم ٢٩٥٣)، وقال: حسـن. والنسـائي (٢/ ١٣٥، رقـم ٩٠٩)، وابن ماجه (٢/ ١٢٤٣، رقـم ٣٧٨٤)، وابن حبان (٥/ ٨٤، رقم ١٧٨٤)، والبيهقي في القراءة خلف الإمام (١/ ٤٧، رقم ٨٨).

(١) في ج: «التحميد»
(٢) في م: «فهو»
(٣) في ج: «أعم»
(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.
(٥) في م: «لعظم»

فقد ملك الأقل[1] والبداية.

وقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾. إقرار بالمذلة للمولى، والتزام للخدمة.

وقولـه: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾. رد الأمر إليه، والتسـليم بالكل والتفويض عليه؛ لأنه إن أعان العبد عبده، وإن خذله جحده.

وقولـه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾. **«فهـذه[2] بيني وبين عبدي»**. نص على أنها آية واحدة.

وقولـه: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ **إلـى:** ﴿وَلَا الضَّالِّينَ ۝٧﴾. **«فهـؤلاء لعبـدي»**. نص علـى أنها أكثر من آية واحدة ردا على المكيين، وبذلك صارت الفاتحةُ سـبعَ آيات بإسقاط عد: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١﴾.

❀ ❀ ❀

(١) في ج: «الأول»

(٢) في ج، م: «هذه»

التعريف بمخطوط
أيضاح البيان عن معنى أم القرآن

ألـف الطوفـي هذا الكتاب من أجـل الحديث عن فاتحة الكتـاب، وقد جاء في ثلاثة فصول:

تحدث في **الأول** عن معنى «أم»، وعن معنى «القرآن».

وفي **الثاني** قسم الكلام إلى مجمل ومبين، وذكر أن لكل منهما مراتب. وتحدث عن سبب الإجمال، وسبب البيان، وعن بعض مراتب الإجمال والبيان في القرآن الكريم.

وفـي **الفصـل الثالث** بين أن القرآن يشـتمل علـى مقاصد الإيمان مـن التصديق بالله تعالـى والملائكـة والكتب والرسـل واليوم الآخر والقـدر، وأن هذه المقاصـد جميعها في الفاتحة- وأخذ يبين ذلك.

وذكـر المؤلف أن ما فـي القرآن من القصص والأخبار تكميـل للمقاصد المذكورة، وأن سـورة الفاتحـة تتضمـن ذلك، كما أن في هذه السـورة وعـدا ووعيدا، ثم أشـار إلى أن القـرآن لا يخـرج عن أن يكون ثناء على الله تعالى، أو عبادة له سـبحانه، والفاتحة أولها ثناء وآخرها عبادة. ثم ذكر أسماء الفاتحة.

وبعـد هـذا أورد المؤلـف بعض الفوائـد، فذكر فضائل بعض السـور وأسـرار ذلك، وأسباب اختصاصها بما ورد فيها، وتخلله تفسير موجز لسورتي الفلق والناس.

تحقيق نسبة الكتاب لمؤلفه

الكتـاب ثالـت المسـبة للطوفي، فقـد ذكره البغـدادي في تعـداد مؤلفـات الطوفي، والكتـاب فـي مجمـوع يحتوي علـى عدد من مؤلفاتـه، كتب فـي أول وآخر كثير منها اسـم المؤلف، والأوضح من ذلك أن المؤلف أحالت فيه على كتابه: الرياض النواضر في الأشباه والنظائـر، وهذا الأخير مما ذكره له المترجمون، كما أنه أحال على الإيضاح في كتابه قاعدة جليلة في علم الكتاب والسنة.

وصف المخطوط المعتمد في التحقيق

يعرف لإيضاح البيان نسخة مخطوطة واحدة، وردت في فهرس مخطوطات برلين، وذكرها- بروكلمان، ولم يشر إلى غيرها، ولم يهتد الدارسون والمعنيون بالطوفي إلى غيرها. والكتاب في مجموع يحوي عدة رسائل للمؤلف، وكتاب **الإيضاح** تحت الرقم ٩٤٠، ويبدأ من ق ٤٩ أوينتهي في الورقة ٥٧ ب. وفي كل صفحة تسعة عشر سطرا في الأعم الأغلب، كتبت بالخط المعتاد.

منهج التحقيق

اتخذت النسخة السابق توصيفها أصلا للتحقيق.

وقد تمت خطوات التحقيق على النحو التالى:

١- تصحيح وإكمال بعض الكلمات القليلة الَّتِي خلت منها المخطوطة، وقد نصصت على ذلك في حواشي التحقيق.

٢- ضبط المتن ويشتمل على ضبط الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وسائر الكلام إذا أشكل.

٣- عزو الآيات القرآنية إلى أماكنها في المصحف الشريف.

٤- تخريج الأحاديث والآثار.

٥- عزو الآراء والأقوال إلى مصادرها قدر الاستطاعة.

٦- التعريف بالمصطلحات الواردة في المخطوط والتى تحتاج لتعريف لأهميتها.

٧- ترجمة الأعلام والشخصيات.

٨- اعتمدت خط الإملاء الحديث، وعلامات الترقيم دون الإشارة إلى ذلك.

ثم ألحقت بهذا التحقيق فهارس فنية شاملة للآيات والأحاديث والأشعار والبلدان والأعلام، مع ثبت للمصادر التى رجعت إليها به المعلومات الببليوجرافية لهذه المصادر.

والله ولى التوفيق

نماذج لصور المخطوط
المعتمد في التحقيق

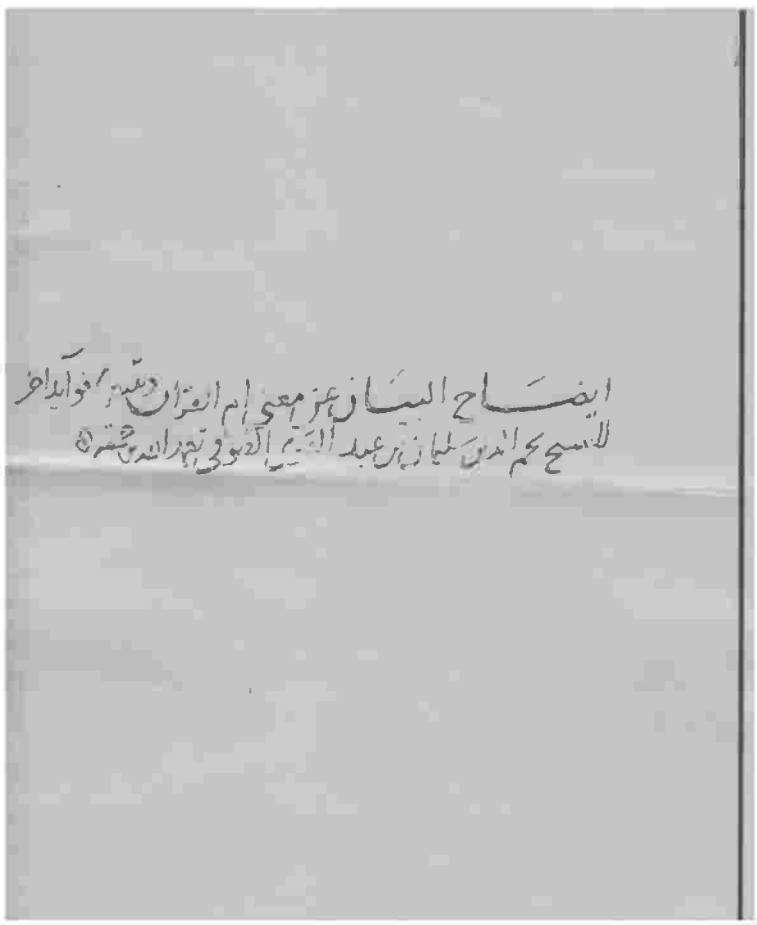

صورة لغلاف المخطوط

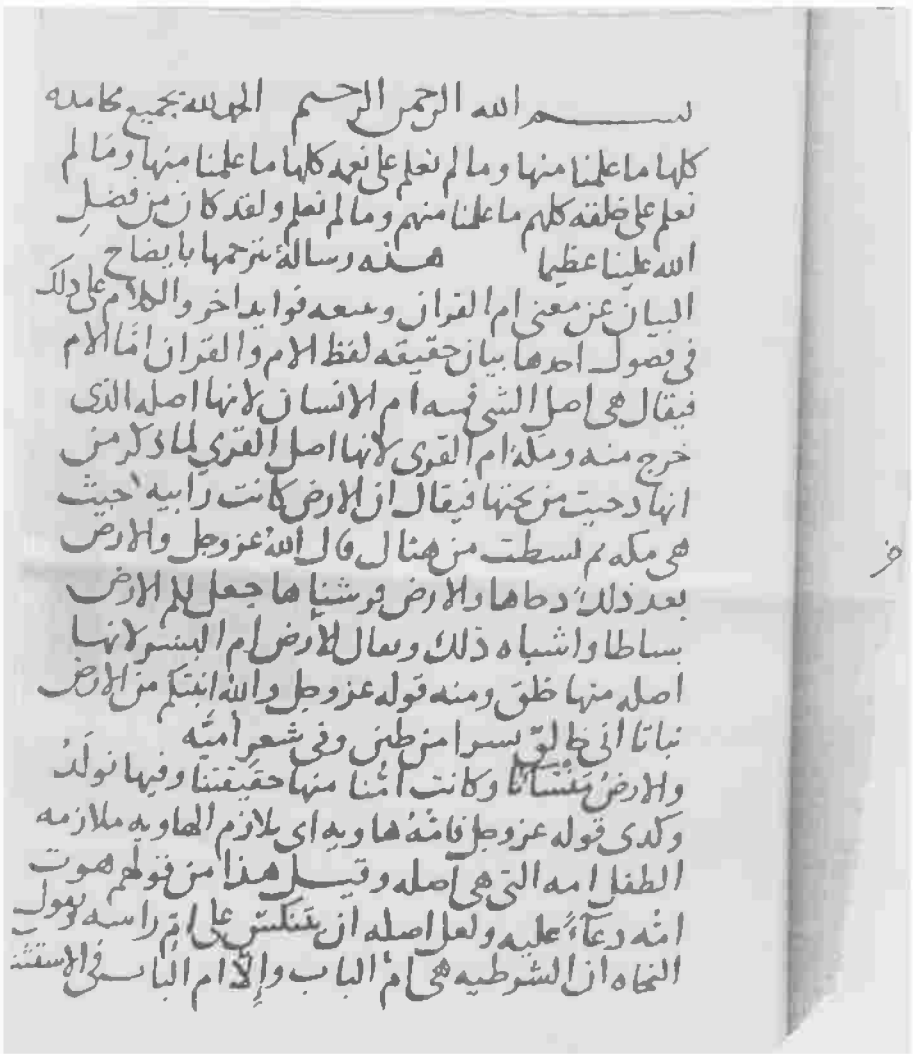

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله بجميع محامده
كلها ما علمنا منها وما لم نعلم على نعمه كلها ما علمنا منها وما لم
نعلم على خلقه كلهم ما علمنا منهم وما لم نعلم ولقد كان من فضل
الله علينا عظيما هذه رسالة نترجمها بإيضاح
البيان عن معنى أم القرآن وسمعته فوائد اخر والكلام على ذلك
في فصول احدها بيان حقيقة لفظ الأم والقرآن أما الأم
فيقال هي أصل الشيء نفسه أم الإنسان لأنها أصله الذي
خرج منه ومكة أم القرى لأنها أصل القرى لما ذكر من
أنها دحيت من تحتها فيقال أن الأرض كانت رابية حيث
هي مكة ثم بسطت من هناك قال الله عز وجل والأرض
بعد ذلك دحاها والأرض وما طحاها جعل الله الأرض
بساطا وأشباه ذلك ويقال الأرض أم البشر لأنها
أصله منها خلق ومنه قوله عز وجل والله أنبتكم من الأرض
نباتا أي خلق آدم من طين وفي شعر أمية
والأرض مهدنا وكانت أمنا منها حقيقتنا وفيها نولد
وكذى قوله عز وجل فأمه هاوية أي يلازم الهاوية ملازمة
الطفل أمه التي هي أصله وقيل هذا من قولهم هوت
أمه دعاء عليه ولعل أصله أن ينكس على أم رأسه ويقول
النحاة أن الشرطية هي أم الباب والكلام الباقي في الاستثناء

صورة اللوحة الأولى من المخطوط

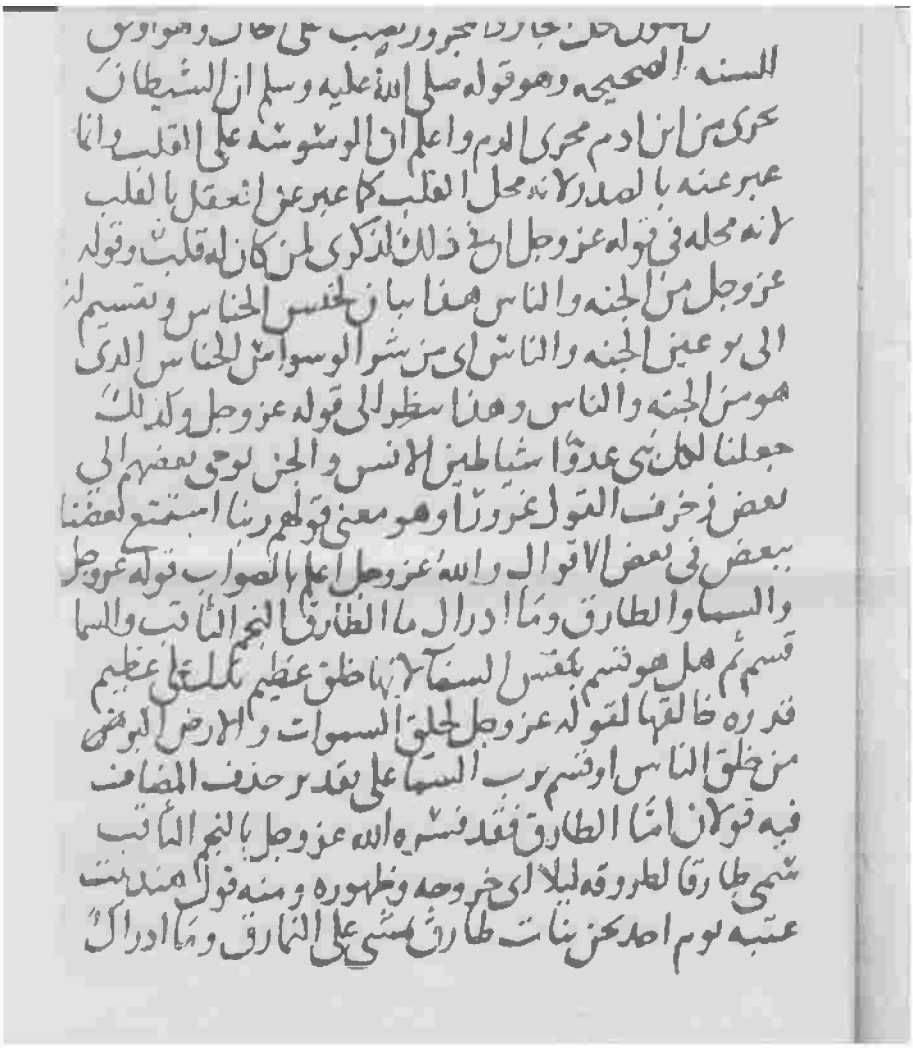

صورة اللوحة الأخيرة المخطوط

النص المحقق

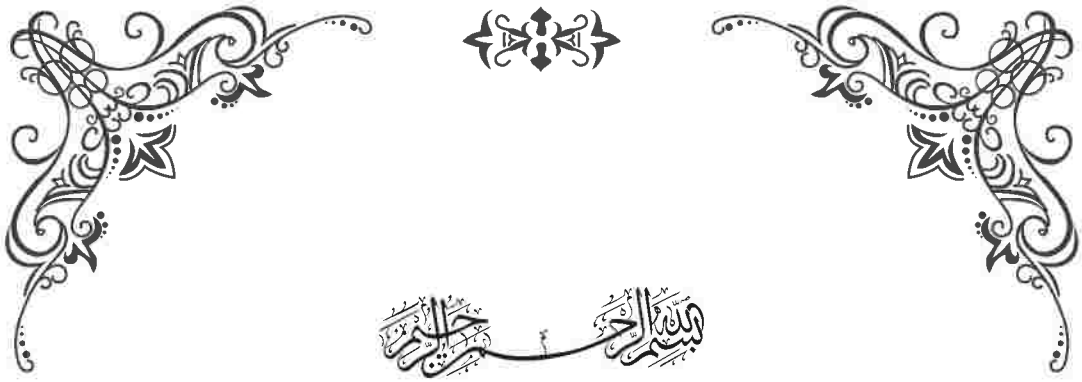

الحمدُ للهِ بجميعِ محامدهِ كلِّها، ما عَلِمْنا منها وما لم نَعْلَمْ، على نعمهِ كلِّها، ما عَلِمْنا منهـا ومـا لم نَعْلَمْ، على خلقهِ كلِّهم، ما عَلِمْنا منهم وما لم نَعْلَمْ، ولقد كان فضل[1] الله علينا عظيمًا.

هذه رسالة نترجمها بـ «**إيضاح البيان عن معنى أم القرآن**»، ونتبعها[2] فوائد أخر.

والكلامُ على ذلك في فصولٍ:

❋ ❋ ❋

(١) خ: «من فضل».

(٢) خ: «نتبعه».

أحدها

بيان حقيقة لفظ «الأم» و«القرآن»

أما الأم:

فيقال: هي أصل الشيء، فمنه أم الإنسان؛ لأنها أصله الذي خرج منه، ومكة أم القرى؛ لأنها أصل القرى[1]، لما ذكر من أنها دحيت من تحتها[2]، فيقال: إنَّ الأرضَ كانتْ رابيةً[3] حيثُ هيَ مكة، ثم بُسطت من هناك؛ قال الله - عز وجل -: ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ ﴾[4]. ﴿ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا ﴾[5].﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ ﴾[6]. وأشباه ذلك.

ويقال: للأرض أم البشر[7]؛ لأنها أصله، منها خلق، ومنه قوله - عز وجل -: ﴿ وَٱللَّهُ

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان ٤/ ٨١٢، وتفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) ٢/ ٣٠٨، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي ١/ ٤٩. وقيل لتقدمها أمام جميعها. جامع البيان في تأويل القرآن ١/ ١٠٨.

(٢) تفسير القرطبي ١/ ١١٢، والهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه ١/ ٨٠، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي ٣/ ١٦٨.

(٣) أصل الرابية والرباوة: ما ارتفع من الأرض.

(٤) سورة النازعات، الآية: ٣٠.

(٥) سورة الذاريات، الآية: ٤٨.

(٦) سورة نوح، الآية: ١٩.

(٧) انظر: معيار العلم، ص٥٦، والمستصفى، ص ١٩٠، والإبهاج في شرح المنهاج٢/ ٢١٠.

أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴿١٧﴾ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ﴿٧١﴾ ﴾[2].

وفي شعر أمية[3]:

والأرض منشأنا وكانت أمنا منها حقيقتنا وفيها نولد[4]

وكذا قوله تعالى: ﴿ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ﴿٩﴾ ﴾[5]. أي: يُلازم الهاويةَ ملازمةَ الطفلِ أمَّه التي هي أصله[6].

---

(١) سورة نوح، الآية: ١٧.
(٢) سورة ص، الآية: ٧١.
(٣) هو أمية بن عبد الله أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي (٥ هـ/ ٦٢٦ م)، شاعر جاهلي حكيم، من أهل الطائف. قدم دمشق قبل الإسلام. وكان مطلعا على الكتب القديمة، يلبس المسوح تعبدا. وهو ممن حرموا على أنفسهم الخمر ونبذوا عبادة الأوثان في الجاهلية. ورحل إلى البحرين، فأقام ثماني سنين ظهر في أثنائها الإسلام، وعاد إلى الطائف، فسأل عن خبر محمد بن عبد الله ﷺ فقيل له: يزعم أنه نبي. فخرج حتى قدم عليه بمكة وسمع منه آيات من القرآن، وانصرف عنه، فتبعته قريش تسأله عن رأيه فيه، فقال: أشهد أنه على الحق، قالوا: فهل تتبعه؟ فقال: حتى أنظر في أمره. وخرج إلى الشام. وهاجر رسول الله إلى المدينة، وحدثت وقعة بدر، وعاد أمية من الشام، يريد الإسلام، فعلم بمقتل أهل بدر وفيهم ابنا خال له، فامتنع. وأقام في الطائف إلى أن مات.
أخباره كثيرة، وشعره من الطبقة الأولى، وعلماء اللغة لا يحتجون به لورود ألفاظ فيه لا تعرفها العرب. وهو أول من جعل في أول الكتب: باسمك اللهم. فكتبتها قريش.
قال الأصمعي: ذهب أمية في شعره بعامة ذكر الآخرة، وذهب عنترة بعامة ذكر الحرب، وذهب عمر ابن أبي ربيعة بعامة ذكر الشباب.
ترجمته في: خزانة الأدب للبغدادي ١/ ١١٩، وتهذيب تاريخ دمشق لابن منظور ٣/ ١١٥ وسمط اللآلي ٣٦٢، وجمهرة الأنساب ٢٥٧، والأغاني ٤/ ١٢٠.
(٤) البيت في ديوان أمية ٢٨. وروايته فيه:
وَالأَرضُ مَعقِلُنا وَكانَت أُمَّنا فيها مَقابِرُنا وَفيها نَولَدُ
وانظره أيضا في: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ١/ ٤٢٢، المخصص ١٣/ ١٨٠، وحياة الحيوان ٢/ ١١٣، وبلا نسبة في المذكر والمؤنث ١٨٧، وربيع الأبرار ونصوص الأخيار، ص ١٦٧.
(٥) سورة القارعة، الآية: ٩
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان ٤/ ٨١٢، و غرائب التفسير وعجائب التأويل ٢/ ١٣٨٢.

وقيل: هذا من قولهم: هوت أمه. دعاءٌ عليه[1].

ويقول النحاة: «إن» الشرطية هي أم الباب[2]، و «إلا» أم الباب في الاستثناء، يعني: أصله الذي هو أكثر دورانا.

وكذلك: روميه أم الروم. أي: أصل بلادها التي ترجع إليها ويعتمد عليها؛ ﴿ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾[3]. ﴿ وَعِندَهُۥ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾ ﴾[4]. يعني: أصله الذي نقل منه، وهو اللوح المحفوظ[5].

فأُمّ الكتاب يستعمل بمعنيين:

أحدهما: هذا- لما ذكر.

والثاني: الفاتحة؛ لما نذكر إن شاء الله - عز وجل- من أنها متضمنة لكُلِّيات القرآن إجمالا.

وأما القرآن: فالمراد به الكلام الإلهي الجامع النازل على محمد ﷺ مشتق من القرء: وهو الجمع، لجمعه ما ذكرنا. ومادة «قرأ» إلى هذا ترجع[6].

❀ ❀ ❀

(١) عن قتادة، ﴿ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ ﴾. قال: «مصيره إلى النار هي الهاوية». قال قتادة: هي كلمة عربية، كان الرجل إذا وقع في أمر شديد، قال: هوت أمه «. جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٤/ ٥٩٥.

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ١/ ١٩٦.

(٣) سورة الزخرف، الآية: ٤. (٤) سورة الرعد، الآية: ٣٩.

(٥) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن ١٦/ ٤٨٦، وتفسير عبد الرزاق ٢/ ٢٣٩، وتفسير مقاتل بن سليمان ١/ ٢٦٣، وتفسير القرطبي ١/ ١١١، ٩/ ٣١.

(٦) ورد في دستور العلماء١/ ٢٣٤: (أم الكتاب): القرآن المجيد وسورة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وسورة الفاتحة، واللوح المحفوظ، والعرش المجيد المعلى. وعند الصوفية العقل الأول الذي هو إشارة إلى مرتبة الوحدة. وراجع التعريفات، ص ٥٣.

الفصل الثاني

اعلم أن الكلام من حيث هو على ضربين:

- مجمل[1].
- ومبين مفصل.

والضربان متفاوتان في المراتبِ، فبعضُ المُجملِ أشدُّ إجمالًا من بعض، وبعض المبينِ أشدُّ بيانًا من بعض، حتى ينتهيَ المجملُ إلى غايةِ الإجمالِ، والمبين إلى غايةِ البيانِ.

وسببُ الإجمالِ:

- تارةً قصورُ المتكلمِ عن البيانِ.
- وتارةً قوةُ إدراكِ السامعِ؛ بحيثُ يفهمُ بأدنى إشارةٍ، فيتَّكلُ المتكلمُ على ذلك، فيقتصرُ على الإجمالِ.
- وتارة الأمران: قصور المتكلم وقوة السامع، فلا يبالي المتكلم- كان قاصرا عن البيان أو قادرا عليه.
- وتارة يعلق المصلحة بالإجمال من إخفاء سر أو امتحان سامع بإدراك معنى خفي، وغير ذلك من الأسباب.

---

(١) (المجمل): ما اجتمعت فيه المعنيان أو المعاني من غير رجحان لأحدها على الباقي، فاشتبه المراد به اشتباها لا يدرك إلا ببيان من جهة المُجْمِل. التعريفات، ص ٢٦١، ودستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون ٣/ ٢١٧.

وسبب البيان:

- تارة فصاحة المتكلم وبلاغته.
- وتارة ضعف فهم السامع؛ فيحرص المتكلم على إفهامه.
- وتارة الأمران جميعا.
- وتارة اهتمام المتكلم بمعنى الكلام، فيحرص على إظهاره في بعض مراتب البيان، وغير ذلك من الأسباب.

ومن أمثلة تفاوت مراتب البيان:

قوله - عز وجل -: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ﴾[1]. الآيات، فإنه - عز وجل - أمرهم أولا بذبح بقرة، وهي مسمى مطلق في غاية الإجمال، ثم بيَّن لهم أنها ﴿ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾[2]. ثم بين لهم أنها ﴿ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[3]. ثم بين لهم أنها ﴿ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ﴾[4]. فكان ذلك غاية البيان لهم، فحينئذ قالوا: ﴿ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ ﴾[5].

ومن أمثلة ذلك:

أن الله - عز وجل - بيَّن مواقيت الصلاة في كتابه بقوله - عز وجل -: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ الآية[6]. ثم بقوله - عز وجل -: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾ ﴾[7]. ثم بقوله - عز وجل -: ﴿ وَسَبِّحْ

(١) سورة البقرة، الآية: ٦٧.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٦٨.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٦٩.
(٤) سورة البقرة، الآية ٧١
(٥) سورة البقرة، الآية: ٧١.
(٦) سورة الروم، الآية: ١٧
(٧) سورة الطور، الآيتان: ٤٨، ٤٩.

بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾[1]. ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾[2]. وبقوله -عز وجل-: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾[3].. الآيات.

وهي متفاوتة في البيان على ترتيبها الذي ذكرناه.

ثم جاءتِ السنةُ في رتبةٍ ثانيةٍ من البيانِ؛ كحديث ابن عباس[4]، وجابر[5]، وبريدة[6]،

---

(١) سورة ق الآية ٣٩. (٢) سورة طه، الآية: ١٣٠.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٧٨.

(٤) ابن عبَّاس (٣ ق هـ-٦٨ هـ = ٦١٩-٦٨٧ م) هو: عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس، حبر الأمة، الصحابي الجليل. ولد بمكة. ونشأ في بدء عصر النبوّة، فلازم رسول الله ﷺ وروى عنه الأحاديث الصحيحة. وشهد مع علي الجمل وصفين. وكف بصره في آخر عمره، فسكن الطائف، وتوفي بها. قال ابن مسعود: نعم، ترجمان عباس، كان عمر إذا أعضلت عليه قضية دعا ابن عباس وقال له: أنت لها ولأمثالها، ثم يأخذ بقوله ولا يدعو لذلك أحدا سواه. وكان آية في الحفظ، وينسب إليه كتاب في «تفسير القرآن» جمعه بعض أهل العلم من مرويات المفسرين عنه في كل آية فجاء تفسيرا حسنا. وأخباره كثيرة.
ترجمته في: طبقات ابن سعد ٢/ ٣٦٥، نسب قريش، ص ٢٦، طبقات خليفة: ت ٨٢١، ١٤٨٥، ٢٦٠٥، الحلية ١/ ٣١٤، الاستيعاب: ٩٣٣، تاريخ بغداد ١/ ١٧٣، أسد الغابة ٣/ ٢٩٠، تهذيب الأسماء واللغات ١/ ١/ ٢٧٤.

(٥) جابر بن عبد الله (١٦ ق هـ-٧٨ هـ/ ٦٠٧-٦٩٧ م) هو: جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي الأنصاري السلمي: صحابي، من المكثرين في الرواية عن النبي ﷺ وروى عنه جماعة من الصحابة. له ولأبيه صحبة. غزا تسع عشرة غزوة. وكانت له في أواخر أيامه حلقة في المسجد النبوي يؤخذ عنه العلم.
ترجمته في: طبقات خليفة: ت ٦٢٣، المحبر: ٢٩٨، التاريخ الكبير ٢/ ٢٠٧، الجرح والتعديل ٢/ ٤٩٢، مشاهير علماء الأمصار: ت ٢٥، الاستيعاب: ٢١٩، أسد الغابة ١/ ٢٥٦، تهذيب الأسماء واللغات ١/ ١/ ١٤٢، تذكرة الحفاظ ١/ ٤٠، العبر ١/ ٨٩، الإصابة ١/ ٢١٣، شذرات الذهب ١/ ٨٤.

(٦) بريدة بن الحصيب (٦٣ هـ/ ٦٨٣ م) هو: بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث الأسلمي: من أكابر الصحابة، أسلم قبل بدر، ولم يشهدها. وشهد خيبر وفتح مكة، واستعمله النبي ﷺ على صدقات قومه. وسكن المدينة. وانتقل إلى البصرة، ثم إلى مرو فمات بها. =

وغير هذا[1].

ثم جاء كلام الفقهاء في رتبة ثالثة من البيان، فهي في غايتِه.

ثم إن كتب الفقهاء متفاوتة في البيان، فبعضها أبين في ذلك من بعض، ولكن جملتها بلغت غاية البيان.

ومن أمثلة ذلك:

قولـه -عـز وجـل-: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧﴾[2]. فهـذا إشارة إلى قصتهم إجمالا، ثم استقصى بيانها في باقي السورة.

= ترجمتـه فـي: طبقات ابـن سـعد ٤/ ٢٤١ ٢٤٣ و ٧/ ٣٦٥، والمعـارف لابن قتيبـة ٣٠٠، والجرح والتعديل ٢/ ٤٢٤، وأسـد الغابة ١/ ٢٠٩، وسـير أعلام النبلاء ٢/ ٤٦٩، والعبر ١/ ٦٦، والإصابة ١/ ٢٤١، وشذرات الذهب ١/ ٧٠.

(١) عن جابر بن زيد، أنه سـئل عن مواقيت الصلاة، فقال: قال ابن عباس: صلاة الفجر من طلوع الفجر إلى طلوع شعاع الشمس، فذكر المواقيت كلها، وزعم أن ابن عباس قال: صليت مع رسول الله ﷺ بالمدينة الأولى والعصر ثماني سـجدات قال: وسـئل جابر بن زيد عن صلاة المسـافر، فقال: زعم أبو هريرة أنه سـافر مع رسـول الله ﷺ، ومع أبي بكر وعمر من المدينة إلى مكة، فكلهم كان يصلي ركعتيـن ركعتيـن من حين يخـرج من المدينة حتـى يرجع في المسـير والإقامة بمكة، قـال: وقالت عائشـة: كان رسـول الله ﷺ يصلي بمكة ركعتين قبل الهجرة، فلما أتى المدينة فرضت الصلاة عليه أربعا، وجعل صلاته بمكة للمسافر. مسند إسحاق بن راهويه ١/ ٧٦ (٤).
وعن سـليمان بن بريدة، عن أبيه، أن رجلا أتى النبي ﷺ، فسـأله عن مواقيت الصلاة، فقال: «اشـهد معنـا الصـلاة، فأمر بلالا فـأذن بغلس، فصلى الصبح حيـن طلع الفجر، ثم أمـره بالظهر حين زالت الشمس عن بطن السماء، ثم أمره بالعصر والشمس مرتفعة، ثم أمره بالمغرب حين وجبت الشمس، ثم أمره بالعشـاء حين وقع الشـفق، ثم أمره الغد فنور بالصبح، ثم أمره بالظهر فأبرد، ثم أمره بالعصر والشـمس بيضاء نقية لم تخالطها صفرة، ثم أمره بالمغرب قبل أن يقع الشـفق، ثم أمره بالعشـاء عند ذهاب ثلث الليل، أو بعضه - شك حرمي -» فلما أصبح، قال: «أين السائل؟ ما بين ما رأيت وقت». صحيح مسلم / ٤٢٩ (٦١٣).

(٢) سورة يوسف، الآية: ٧.

وكذلك قوله - عز وجل -: ﴿ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ ﴾[1]. فهو إشارة إلى قصتهما إجمالا، ثم استقصى بيانها في سياق السيرة.

وكذلك قصص جماعة من الأمم مع أنبيائها، أجملها - عز وجل - في مكان؛ كسورة «الذاريات»، وبينها في مكان كسورة «الأعراف» و«الشعراء» و«هود» وبعضها أبين من بعض بيانا مطلقا، أو من وجه.

ولهذا يستفاد من ذلك في بعض السور ما لا يستفاد من بعض، ثم استقصى القصاص بيان ذلك، مثل وهب[2]، والكسائي[3]، .....

(١) سورة القصص، الآية: ٣.

(٢) وهب بن منبه (٣٤-١١٤ هـ/ ٦٥٤-٧٣٢ م) هو: وهب بن منبه الأبناوي الصنعاني الذماري، أبو عبد الله: مؤرخ، كثير الأخبار عن الكتب القديمة، عالم بأساطير الأولين ولا سيما الإسرائيليات. يعد في التابعين. أصله من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى إلى اليمن. وأمه من حمير. ولد ومات بصنعاء وولاه عمر بن عبد العزيز قضاءها. وكان يقول: سمعت اثنين وتسعين كتابا كلها أنزلت من السماء، اثنان وسبعون منها في الكنائس، وعشرون في أيدي الناس لا يعلمها إلا قليل، ووجدت في كلها أن من أضاف إلى نفسه شيئا من المشيئة فقد كفر. ومن كلامه، وينسب إلى غيره: إذا دخلت الهدية من الباب خرج الحق من الكوة! واتهم بالقدر، ورجع عنه. ويقال: ألف فيه «كتابا «ثم ندم عليه. وحبس في كبره وامتحن. قال صالح بن طريف: لما قدم يوسف بن عمر العراق، بكيت، وقلت: هذ الذي ضرب وهب بن منبه حتى قتله. وفي «طبقات الخواص «أنه صحب ابن عباس ولازمه ثلاث عشرة سنة. من كتبه «ذكر الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم» رآه ابن خلكان في مجلد واحد، وقال: هو من الكتب المفيدة. وله «قصص الانبياء»و«قصص الأخيار».
ترجمته في: طبقات ابن سعد ٥/ ٥٤٣، طبقات خليفة (٢٦٥٢)، تاريخ البخاري ٨/ ١٦٤، المعارف ٤٥٩، الجرح والتعديل القسم الثاني من المجلد الرابع ٢٤ ذيل المذيل ٦٤٠، الحلية ٤/ ٢٣، طبقات الفقهاء للشيرازي ٧٤، طبقات فقهاء اليمن ٥٧، معجم الأدباء ١٩/ ٢٥٩، تهذيب الأسماء واللغات القسم الأول من المجلد الثاني ١٤٩، وفيات الأعيان ٦/ ٣٧، تذكرة الحفاظ ١/ ٩٥، العبر ١/ ١٤٣.

(٣) الكسائي (٠٠٠-١٨٩ هـ/ ٠٠٠-٨٠٥ م) هو: علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي بالولاء، =

والثعلبي[1]، وأجودها كتاب وثيمة بن موسى بن الفرات[2].

وأبلغ من ذلك بيانا معاينة قصصهم لمن عاينها عند وقوعها.

وإذا نظرت في كتابنا المسمى بـ «**الرياض النواضر في الأشباه والنظائر**»[3] لاحت لك بارقة كبيرة من البيان ومراتبه إن شاء الله، عز وجل.

= الكوفي، أبو الحسن الكسائي: إمام في اللغة والنحو والقراءة. من أهل الكوفة. ولد في إحدى قراها. وتعلم بها. وقرأ النحو بعد الكبر، وتنقل في البادية، وسكن بغداد، وتوفي بالري، عن سبعين عاما. وهو مؤدب الرشيد العباسي وابنه الأمين. قال الجاحظ: كان أثيرا عند الخليفة، حتى أخرجه من طبقة المؤدبين إلى طبقة الجلساء والمؤانسين. أصله من أولاد الفرس. وأخباره مع علماء الأدب في عصره كثيرة. له تصانيف، منها «معاني القرآن» و«المصادر» و«الحروف» و«القراءات» و«نوادر» ومختصر في «النحو» و«المتشابه في القرآن».

ترجمته في الأعلام ٤/ ٢٨٣.

(١) الثعلبي (٤٢٧ هـ/ ١٠٣٥ م) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق: مفسر، من أهل نيسابور له اشتغال بالتاريخ. من كتبه (عرائس المجالس) في قصص الأنبياء، و(الكشف والبيان في تفسير القرآن) يعرف بتفسير الثعلبي.

ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٢٢، وإنباه الرواة ١/ ١١٩.

(٢) الوشاء (٢٣٧ هـ ٨٥١ م) وثيمة بن موسى بن الفرات، أبو يزيد، المعروف بالوشاء، مؤرخ (هو غير الأديب محمد بن أحمد صاحب الموشى) نشأ في أحد بلاد فارس، وخرج إلى البصرة. ورحل إلى مصر، فالأندلس، ثم عاد إلى مصر فمات فيها. كان يتجر بالوشي (وهو ثياب تصنع من الابريسم) له كتاب في «أخبار الردة».

ترجمته في: وفيات الاعيان ٢: ١٧١ وفوات الوفيات ٢: ٣١٨ وجذوة المقتبس ٣٤١.

(٣) الذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٣٦٧، وحاجي خليفة في كشف الظنون ١/ ٩٣٨.

الفصل الثالث

إذا عرفتَ ما قدّمناه من مراتب، فاعلم أن القرآن في مراتب بيانه على ذلك:

- فالفاتحة التي هي أم القرآن مشتملة على مقاصده الكلية من حيث الإجمال.
- ثم باقي القرآن يبين ذلك في رتبة ثانية من البيان.
- ثم السُّنَّةُ بينته في رتبة ثالثة من البيان؛ لأنها بيان القرآن، لقوله - عز وجل -: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾[1].
- ثم العيان في الدنيا والآخرة بينه في رتبة رابعة، وهي غاية البيان؛ إذ لا أبين من العيان، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ﴾[2]، ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾[3]، ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾[4]، ﴿ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾[5]، ﴿ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ﴾[6]. الآيات ونحوها.

ولنشرح ذلك على وجه يظهر، وذلك من وجوه:

أحدها: أن القرآن مشتمل على مقاصد الإيمان، وهي التصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، كما ثبت ذلك في حديث جبريل في الحديث

---

(١) سورة النحل، الآية: ٤٤.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٥٣.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٥٨.
(٤) سورة الزمر، الآية: ٤٧.
(٥) سورة يس، الآية: ٦٣.
(٦) سورة الأحقاف، الآية: ٣٤.

الصحيح[1]، وهذا هو مقصود القرآن بالذات، ولذلك سمى إيمانا في قوله - عز وجل-: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ ﴾[2]. يعني: بالقرآن فيما قاله بعضهم. وهذه المقاصد كلها مشار إليها في الفاتحة.

أما الإيمان بالله ففي قوله - عز وجل-: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾[3]. فإن إيجاب الحمد لله -عز وجل- يقتضي أنه موجود مستحق له.

وأما الإيمان بالملائكة:

فهو في ضمن قوله -عز وجل-: ﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾[4]. إذ العالمون مَن سوى الله -عز وجل- ومنهم الملائكة، وأيضا في ضمن قوله -عز وجل-: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾[5]. ومن جملة المنعم عليهم ذوي الصراط المستقيم الملائكة، لقوله - عز وجل- في صفتهم: ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦ ﴾[6]. وهذا هو مقصود الصراط المستقيم.

وأما الإيمان بالكتب:

فقد تضمنه قوله -عز وجل-: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ ﴾[7]. وهو القرآن في أحد الأقوال[8]، وهي متلازمة؛ فالقرآن مراد على تجميعها قصدا أو التزاما، وسؤال الهداية يستلزم الإيمان به؛ إذ من لا يؤمن بشيء لا يُسأل الهداية إليه، والإيمان به يستلزم الإيمان بجميع كتب الله - عز وجل- لأنه موافق مصدق لها، آمر بالإيمان بها.

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٥١، رقم ٣٦٧)، ومسلم (١/ ٣٦، رقم ٨)، وأبو داود (٤/ ٢٢٣، رقم ٤٦٩٥)، والترمذي (٥/ ٦، رقم ٢٦١٠)، والنسائي (٨/ ٩٧، رقم ٤٩٩٠)، وابن ماجه (١/ ٢٤، رقم ٦٣).

(٢) سورة المائدة الآية: ٥.

(٣)، (٤) سورة الفاتحة، الآية: ٢.

(٥) سورة الفاتحة، الآية: ٧.

(٦) سورة التحريم، الآية: ٦.

(٧) سورة الفاتحة، الآية: ٦.

(٨) ينظر الطبري ١/ ٥٧، والدر المنثور ١/ ١٥.

وأما الإيمان بالرسل:

فقد تضمنه قوله -عز وجل-: ﴿ رَبِّ ٱبْنِ ﴾[1]. إذ هم صفوة العالمين، وأبين منه قوله -عز وجل-: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾[2]. لأن الرسل صفوة المنعم عليهم. وقد بين الله -عز وجل- ذلك في قوله -عز وجل-: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[3].. الآية. فبدأ بهم: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ﴾[4]، ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ ﴾[5]، ﴿ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ ﴾[6] الآيات ونحوها.

وأما الإيمان باليوم الآخر:

ففي قوله -عز وجل-: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾[7]. يعني: يوم الحساب والجزاء، وحين يُدان الناس بأعمالهم: أي يجزون[8].

وأما الإيمان بالقدر:

ففي قوله -عز وجل-: ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾[9]. ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ﴾[10]. إذ فيه بيان أن الإعانة على عبادته منه، والاستعانة به والهداية إليه.

---

(١) سورة التحريم، الآية: ١١.
(٢) سورة الفاتحة، الآية: ٧.
(٣) سورة مريم، الآية: ٥٨.
(٤) سورة الزخرف، الآية: ٥٩.
(٥) سورة النمل، الآية: ١٩.
(٦) سورة يوسف، الآية: ٦.
(٧) سورة الفاتحة، الآية: ٤.
(٨) جامع البيان في تأويل القرآن ١/ ١٥٧.
(٩) سورة الفاتحة، الآية: ٥.
(١٠) سورة الفاتحة، الآية: ٦.

وإلى الأول: الإشارة بقوله -عز وجل-: ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ ﴾[1]، ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦ ﴾[2]. ونحوها.

وإلى الثاني: الإشارة بقوله -عز وجل-: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ﴾[3]. ونحوها من الآيات المثبتة للقدر.

فأما ما في القرآن من القصص وأخبار الأولين والآخرين، فهو خارج مخرج التكملة للمقاصد المذكورة، وربما تضمنه قوله - عز وجل-: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾[4].. إلى آخر السورة؛ لأن المخبر عنهم في القرآن لا يخرجون عن أن يكونوا منعما عليهم، أو مغضوبا عليهم، أو مهتدين، أو ضالين، فهذا وجه.

والوجه الثاني: أن القرآن مشتمل على الوعد والوعيد، والحلال والحرام، وغيرهما من الأحكام والقصص والأخبار:

أما الوعد:

ففي ضمن قوله -عز وجل-: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ﴾[5] وقوله -عز وجل-: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾[6]. والوعد فيه ظاهر لاشتماله على صفتي الرحمة والإنعام.

وأما الوعيد:

ففي قوله -عز وجل-: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾[7]. إذ فيه إشارة إلى أنه -عز وجل-

(١) سورة الليل، الآية: ٧.
(٢) سورة الصافات، الآية: ٩٦.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٧٨.
(٤) سورة الفاتحة، الآية: ٧.
(٥) سورة الفاتحة، الآية: ٣.
(٦) سورة الفاتحة، الآية: ٧.
(٧) سورة الفاتحة، الآية: ٤.

مالك يوم الحساب والجزاء، فيجازي كلا بفعله: ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾ ﴾[1]، وأيضا قوله -عز وجل-: ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾[2]. لأن صفتي الغضب والضلال تقتضيان ترتب الوعيد عليهما.

وأما الحلال والحرام ونحوهما من الأحكام:

ففي قوله -عز وجل-: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾[3]. إذ المراد بالدين الجزاء المستلزم للتكليف بأحكام الأفعال المجازى عليها من إيجاب وحظر وكراهة وندب. وكذا قوله - عز وجل-: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾[4]. فصرح بلفظ التعبد الذي هو من التكليف الموجب لوجود الأحكام على المكلفين.

وأما القصص والأخبار:

ففي قوله -عز وجل-: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾[5].. إلى آخر السورة.

ويقرره ما مر في الوجه قبله من أن المخبر عنهم:

- إما منعم عليه.
- أو مغضوب عليه.
- أو مهتد أو ضال.

وما كان من الأخبار المعاديد، ففي قوله -عز وجل-: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾[6]. وهي مذكورة في كتاب «العاقبة» وكتاب «البعث والنشور»، وغيرهما من كتب السنة.

---

(١) سورة الانفطار، الآية: ١٩.
(٢) سورة الفاتحة، الآية: ٧.
(٣) سورة الفاتحة، الآية: ٤.
(٤) سورة الفاتحة، الآية: ٥.
(٥) سورة الفاتحة، الآية: ٧.
(٦) سورة الفاتحة، الآية: ٤.

الوجه الثالث: أن القرآن لا يخرج عن أن يكون ثناء على الله -عز وجل- أو عبادة له -سبحانه وتعالى- والفاتحة أولها ثناء وآخرها عبادة، أعني دعاء إليها. والعبادة تارة تكون بالدعاء نحو: ﴿ ٱهۡدِنَا ﴾ وهو مخ العبادة كما صح به الحديث[1]، ودل عليه قوله -عز وجل: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي ﴾[2]. الآية. وتارة بغير الدعاء نحو: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ﴾[3].

فهذه ثلاثة أوجه في بيان اشتمال الفاتحة على مقاصد القرآن من حيث الإجمال، وربما أمكن استخراج غيرها عند إمعان النظر، لكني لم أستقصه وإنما أوردت ما ظهر.

❁ ❁ ❁

(١) يشير إلى قوله ﷺ: «الدعاء مخ العبادة».
أخرجه الترمذى (٥/ ٤٥٦، رقم ٣٣٧١) وقال: غريب. وأخرجه أيضا: والحكيم (٢/ ١١٣)، والديلمى (٢/ ٢٢٤، رقم ٣٠٨٧).

(٢) سورة غافر، الآية: ٦٠.

(٣) سورة الفاتحة، الآية: ٥.

خاتمة

تسمى هذه السورة:

«الحمد»: تسمية لها بأول لفظ منها.

و**«الفاتحة»** لافتتاح القرآن بها.

و**«أم القرآن»** و**«الكتاب»** لما ذكرنا.

و**«السبع المثاني والقرآن العظيم»** بالكتاب ونص السنة[1] في حديث أبي بن كعب[2].

---

(١) الحديث في الموطأ برقم: (١٨٦):
عن مالك عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب أن أبا سعيد مولى عامر بن كريز أخبره أن رسول الله ﷺ نادى أبي بن كعب وهو يصلى فلما فرغ من صلاته لحقه فوضع رسول الله ﷺ يده على يده وهو يريد أن يخرج من باب المسجد فقال «إني لأرجو أن لا تخرج من المسجد حتى تعلم سورة ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل ولا في القرآن مثلها». قال أبي فجعلت أبطئ في المشي رجاء ذلك ثم قلت يا رسول الله السورة التي وعدتني. قال «كيف تقرأ إذا افتتحت الصلاة». قال: فقرأت (الحمد لله رب العالمين) حتى أتيت على آخرها. فقال رسول الله ﷺ: «هي هذه السورة وهي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيت».
التخريج:
أخرجه عبد بن حميد (ص ٨٦، رقم ١٦٥)، والدارمي (٢/ ٥٣٨، رقم ٣٣٧٢، ٣٣٧٣)، وأحمد (٥/ ١١٤، رقم ٢١١٣٣)، وابن خزيمة (١/ ٢٥٢، رقم ٥٠٠)، والحاكم (٢/ ٢٨٣، رقم ٣٠١٩) وقال: صحيح على شرط مسلم. والبيهقي (٢/ ٤٤٢، رقم ٢٣٤٨).
وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ [الحجر/ ٨٧].

(٢) أبي بن كعب (٢١ هـ/ ٦٤٢ م) هو: أبي بن كعب بن قيس بن عبيد، من بني النجار، من الخزرج، =

وسميت مثاني؛ لأنها تثنى في الصلاة: أي يتكرر ذكرها. وقيل: لأنها نزلت مرتين بمكة والمدينة.

وتسمى الواقية والشافية؛ لأنها تقي وتشفي من اتقى واستشفى بها.

والرقية. لقوله -عليه الصلاة السلام- لأبي سعيد[1] لما رقى بها اللديغ: «**وما أدراك أنها رقية**»[2]، ولعل لها أسماء غير ما ذكرنا، والذي استحضرناه الآن هو هذا، والله -عز وجل- أعلم بالصواب.

= أبو المنذر: صحابي أنصاري. كان قبل الإسلام حبرا من أحبار اليهود، مطلعا على الكتب القديمة، يكتب ويقرأ - على قلة العارفين بالكتابة في عصره - ولما أسلم كان من كتاب الوحي. وشهد بدرا واحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وكان يفتي على عهده. وشهد مع عمر بن الخطاب وقعة الجابية، وكتب كتاب الصلح لأهل بيت المقدس. وأمره عثمان بجمع القرآن، فاشترك في جمعه. وكان نحيفا قصيرا أبيض الرأس واللحية. مات بالمدينة.
ترجمته في: الطبقات الكبرى لابن سعد: ٣/ ٢/ ٥٩، طبقات خليفة: ٨٨-٨٩، تاريخ خليفة: ١٦٧، التاريخ الكبير: ٢/ ٣٩-٤٠، المعارف: ٢٦١، الجرح والتعديل: ٢/ ٢٩٠، الاستبصار: ٤٨، حلية الأولياء: ١/ ٢٥٠-٢٥٦، الاستيعاب: ١/ ١٢٦، تاريخ دمشق ٢/ ٢٩٢/ ٢، أسد الغابة: ١/ ٦١، تهذيب الأسماء واللغات: ١/ ١٠٨-١١٠، تاريخ الإسلام: ٢/ ٢٧، دول الإسلام: ١/ ١٦، العبر: ١/ ٢٣، طبقات القراء: ١/ ٣١، الإصابة: ١/ ٢٦، طبقات الحفاظ: ٥، شذرات الذهب: ١/ ٣٢، ٣٣.

(١) أبو سعيد الخدري (١٠ ق هـ ٧٤ هـ/ ٦١٣ ٦٩٣ م) هو: سعد بن مالك بن سنان الخدري الأنصاري الخزرجي أبو سعيد، صحابي، كان من ملازمي النبي ﷺ وروى عنه أحاديث كثيرة. غزا اثنتي عشرة غزوة، وتوفي في المدينة.
ترجمته في: طبقات خليفة ت ٦٠١، والمحبر ٢٩١، ٤٢٩، والاستيعاب ٦٠٢، وتاريخ بغداد ١/ ١٨٠، وطبقات الشيرازي ٥١، وأسد الغابة ٢/ ٢٨٩ و ٥/ ٢١١، وتهذيب الأسماء واللغات ١/ ٢/ ٢٣٧، وتذكرة الحفاظ ١/ ٤١، والعبر ١/ ٨٤، وسير أعلام النبلاء ٣/ ١٦٨، والوافي بالوفيات ١٥/ ١٤٨، ومرآة الجنان ١/ ١٥٥، والإصابة ٢/ ٣٥، وشذرات الذهب ١/ ٨١.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ١٠، رقم ١١٠٨٥) والبخاري (٢/ ٧٩٥، رقم ٢١٥٦)، ومسلم (٤/ ١٧٢٧، رقم ٢٢٠١)، وأبو داود (٤/ ١٤ رقم ٣٩٠٠)، والترمذي (٤/ ٣٩٨ رقم ٢٠٦٣) وقال: حسن. والنسائي في الكبرى (٦/ ٢٥٥، رقم ١٠٨٦٨) وابن ماجه (٢/ ٧٢٩، رقم ٢١٥٦).

فصل

وردت السنة بأن قراءة: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ تعدل نصف القرآن، وقراءة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ تعدل ثلث القرآن، وقراءة: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ تعدل ربع القرآن[1].

وهذا يشبه كلامنا المذكور على الفاتحة، والكلام عليه في فصول:

(١) لقوله ﷺ: «إذا زلزلت تعدل نصف القرآن، وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن، وقل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن».
أخرجه الترمذي (٥/ ١٦٦، رقم ٢٨٩٤) وقال: غريب. والحاكم (١/ ٧٥٤، رقم ٢٠٧٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٤٩٦، رقم ٢٥١٤).

أحدها

أنه لا يمتنع ترتب الأجر الكثير على العمل اليسيرِ لأسبابٍ:

- **منها نَفَاسةُ العملِ في نفسهِ**؛ كالكتابةِ المحررةِ الجيدةِ التي يُساوي السطر منهما دينـارًا، كمـا يُحكي عن بعـضِ الكُتَّابِ أنه كان إذا سُـئل الصدقة كتبَ للسـائلِ سطرا فيبيعه بدينار.
- **ومنهـا عِظَـمُ مصلحةِ العملِ**؛ كحركةٍ هندسـيةٍ يصلح بها قـرص ببناء عظيم، أو يجري بها ماء إلى أرض، أو سقف بها اعوجاج في أمر، ونحو ذلك.
- **ومنها كَرَمُ مَن له العملُ**، مثل أن يسـقط سـوط الملك من يده، فيناوله إياه بعض العامة، فيعطيه على ذلك مالا جزيلا.

ويروى عن الشـافعي[1] – رضي الله عنه– أن سـوطه سقط من يده، فناوله إياه بعض العامة، فقال الشـافعي لغلامه: أعطه ما معك من النفقة، فكان خمسـين دينارا، وقال: لو كان

---

(١) هو الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس القرشي المطلبي. صاحب المذهب، ولد بغزة، وقيل: بعسقلان، وقيل: باليمن سنة خمسين ومائة، له من المصنفات «الأم»، و «الرسالة» وغيرهما، وتوفـى بمصـر يوم الخميس، وقيـل: يوم الجمعة فى آخر يوم من رجب سـنة أربع ومائتين عن أربع وخمسين سنة.

ترجمتـه في: تاريـخ بغداد ٢/ ٥٦، طبقات الفقهـاء ص٧١، وفيات الأعيـان ٤/ ١٦٣، ومن الكتب المصنفـة خصيصـا لترجمتـه: آداب الشـافعى ومناقبـه لابـن أبـى حاتم، مناقـب الشـافعى للبيهقى وللـرازى، وتوالى التأسـيس لمعالـى محمد بن إدريس لابـن حجر، وانظر الجـزء الأول من كتاب طبقات الشافعية للسبكى.

معنا غيرها لأعطيناه[1]، وذلك لكرمه وسعة مروءته، رضي الله عنه.

وقد يتجه غير ذلك من الأسباب.

وإذا عُرف ذلك فلا يبعد أن يُعطي الله -عز وجل- قارئ سورة «الزلزلة» أجرَ قارئ نصف القرآن ببعض هذه الأسباب، خصوصًا وقد ثبت بالسنة الصحيحة أن بعض القرآن أعظم وأفضل من بعض، كما ثبت أن الفاتحة أعظم السور[2]، وآية الكرسي أعظم الآيات[3].

فقد تختصّ هذه السورة بخصائص يعلمها الشرع تقتضي أن يُرتب على قراءتها من الأجر ذلك، كما اختصّ بعض الأشخاص والأزمنة والأمكنة والأحوال بخواص اختصت لأجلها بما ليس لغيرها من جنسها؛ وذلك كأشخاص الأنبياء والأولياء، ظهر على أيديهم من المعجزات والخوارق ما لم يظهر على أيدي غيرهم من الأشخاص، وكما اختص رمضان،

(١) مناقب الشافعي للبيهقي ٢/ ٢٢١ وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٣٧.

(٢) لحديث أبي سعيد رافع بن المعلى - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال: قال لي رسول الله ﷺ: «ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد» فأخذ بيدي، فلما أردنا أن نخرج قلت: يا رسول الله، إنك قلت: لأعلمنك أعظم سورة من القرآن. قال: «الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته».
أخرجه البخاري (٤٧٠٣). وأخرجه أيضا ابن خزيمة (٢/ ٣٨، رقم ٨٦٣)، والطيالسي (ص ١٧٨، رقم ١٢٦٦)، وأحمد (٣/ ٤٥٠، رقم ١٥٧٦٨)، والنسائي (٢/ ١٣٩، رقم ٩١٣)، وابن ماجه (٢/ ١٢٤٤،رقم ٣٧٨٥).

(٣) لحديث أُبَيٍّ بن كعب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم» قلت: الله لا إله إلا هو الحي القيوم. فضرب في صدري وقال: «ليهنك العلم أبا المنذر».
مسلم (١/ ٥٥٦، رقم ٨١٠)، وأخرجه الطيالسي (ص ٧٤، رقم ٥٥٠)، وأحمد (٥/ ١٤١، رقم ٢١٣١٥)، وعبد بن حميد (ص ٩٢، رقم ١٧٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٤٥٦، رقم ٢٣٨٧)، وأبو داود (٢/ ٧٢، رقم ١٤٦٠)، والحاكم (٣/ ٣٤٤، رقم ٥٣٢٦) وقال: صحيح الإسناد.

والأشـهر الحـرم، ويوم الجمعة، وليلة القـدر، ويوم عرفة، وعاشـوراء، ونحوها من الأزمنة بخصائصها المشـهورة شـرعا، وكما اختص المسـجد الحرام بأن صلاة الفـرض فيه أفضل منها في غيره[1]، وبسائر خصائصه.

واختـص المسـاجد الثلاثة بشـد الرحال إليهـا، وتضاعف الصلاة فيهـا على غيرها، ونحـو ذلك. وكمـا اختص حال الجهاد بتضاعـف أجر الصوم فيها، كما جـاء في الحديث: **«من صام يوما في سبيل الله باعده الله عن النار سبعين خريفا»**[2].

(١) لقوله ﷺ: «صلاة في مسـجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سـواه إلا المسـجد الحرام». أخرجه أحمد (٣/ ٣٤٣، رقم ١٤٧٣٥)، وابن ماجه (١/ ٤٥١، رقم ١٤٠٦) قال البوصيري (٢/ ١٣): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات. والطحاوي (٣/ ١٢٧).

(٢) أخرجه الطيالسي (ص ٢٩١، رقم ٢١٨٦)، وأحمد (٣/ ٥٩، رقم ١١٥٧٧)، والبخاري (٣/ ١٠٤٤، رقـم ٢٦٨٥)، ومسـلم (٢/ ٨٠٨، رقـم ١١٥٣)، والترمذي (٤/ ١٦٦، رقم ١٦٢٣) وقال: حسـن صحيح. والنسائي (٤/ ١٧٢، رقم ٢٢٤٥)، والبيهقي (٤/ ٢٩٦، رقم ٨٢٣٥).

الفصل الثاني

ينبغي لمن تلا هذه السور الثلاث منفردة، أو في جملة القرآن، بادئا من أوله، أو من آخره في غير الصلاة أن يكرر سورة «الزلزلة» مرتين، وسورة «الإخلاص» ثلاثا، وسورة «الكافرون» أربعا؛ ليستكمل بذلك ثلاث ختمات، أما في الصلاة ففي تكرار السورة خلاف مشهور، وتفصيل بين الفرض والنفل[1].

وينبغي لمن كرر هذه السور أن يكرر البسملة في أول كل سورة بعدد قراءتها مرات، لاحتمال كونها آية من كل سورة.

(١) جاء في الموسوعة الفقهية الكويتية (٢٥/ ٢٨٩) تحت عنوان: تكرار السورة بعد الفاتحة في الركعتين الأوليين:
ذهب الجمهور من الحنفية والشافعية والحنابلة إلى أنه لا بأس للمصلي أن يكرر السورة من القرآن التي قرأها في الركعة الأولى، فعن رجل من جهينة سمع رسول الله ﷺ يقرأ في الصبح ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ في الركعتين كلتيهما، فلا أدري أنسي رسول الله ﷺ أم قرأ ذلك عمدا.
وحديث الرجل الذي كان يصلي بالناس فكان يقرأ قبل كل سورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ فقال: إني أحبها. فقال له الرسول ﷺ: حبك إياها أدخلك الجنة.
وذهب المالكية إلى كراهية تكرار السورة، وقال بعضهم: هو خلاف الأولى. فقد قال ابن عمر - رضي الله عنهما - «لكل سورة حظها من الركوع والسجود.

الفصل الثالث[1]

في ذكر ما ظهر لي من مناسبة اختصاص هذه السور بما ذكر

أما توجيه أن «الزلزلة» تعدل نصف القرآن[2]؛ فلأن القرآن لا يخرج عن تقرير أمر معاش الناس ومعادهم.

وهذه السورة اختصت بذكر أمر المعاد؛ من زلزلة الأرض عند قيام الساعة، وإخراج أثقالها وهم الموتى، إشارة إلى البعث، وتحديث أخبارها، وصدور الناس عنها أشتاتا كأنهم جراد منتشر، ورؤية كل عامل ما عمل من خير أو شر.

فلم تتضمن شيئا غير ذكر المعاد، فلما اختصت بجنس نصف مضمون القرآن جاز أن يقال: إنها تعدل نصف القرآن. وصار هذا كما قيل: «إن الفرائض نصف العلم»[3]. كما كان

---

(١) الأصل: «الأول»، وهو سهو، وأثبت الصوتب.

(٢) تقدم تخريج الحديث الدال عليه، ص.

(٣) جاء في دستور العلماء (١/ ٤٠٥):

(علم الفرائض): علم يعرف به مصارف تركه المتوفى وحقوقها بها إرثا. وموضوعه: الصرف من حيث تعلقه بتركة المتوفى من حيث الوراثة وقيل تركة من حيث صرفها في مصارفها من تلك الجهة. وغرضه: يجوز أن يكون أمورا منها دفع الحاجة عند احتياج الناس إليه فإن احتياجهم به أشد ومسائله أوقع ومنها نيل السعادة والثواب؛ لأنه نصف العلم من جهة الثواب؛ قال النبي عليه الصلاة والسلام: «تعلموا الفرائض وعلموها الناس فإنها نصف العلم» [أخرجه البيهقى (٦/ ٢٠٨، رقم ١١٩٥٥) ثم قال: تفرد به حفص بن عمر وليس بالقوى. وأورده ابن طاهر المقدسى فى تذكرة =

للإنسان حالتا حياة وموت، وعلم الفرائض هو العلم المتعلق بإحدى حالتيه وهو الموت، سمي نصف العلم.

وأما توجيه أن ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ تعدل ثلث القرآن[1]؛ فلأن القرآن باعتبار قسمة أخرى لا يخرج عن تقرير التوحيد والنبوة وأحكام اليوم الآخر.

وهذه السورة اختصت بتقرير التوحيد، وذكره، لم يذكر فيها غيره، فكانت بهذا الاعتبار تعدل ثلث القرآن، لاشتمالها على ثلث مضمونه وهو التوحيد.

وهذه القسمة لا تخالف ما ذكرناه من تضمين القرآنِ الإيمانَ باللهِ وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر؛ لأن تقرير النبوة يتضمن إثبات الملائكة والكتب والرسل، لاستلزام النبوة نبيا يتلقى الوحي عن الله -عز وجل- بواسطة الملك.

= الموضوعات (ص ٦٩، رقم ٣٨٨)، والحديث موضوع كما قال الحافظ أحمد الغماري في المغير (ص ٣٧) وأخرجه ابن ماجه (٢/ ٩٠٨، رقم ٢٧١٩)، والحاكم (٤/ ٣٦٩، رقم ٧٩٤٨)]. وإنما جعل العلم بها نصف العلم إما لاختصاصها بإحدى حالتي الإنسان وهي الممات، وإما من جهة الثواب فإنه إذا قال رجل في المقابر: إن رجلا مات وترك ابنا لا غير فتركته له بعد التجهيز والتكفين وأداء الديون وتنفيذ الوصايا من ثلث ماله بعد الدين، ويجعل ثواب هذه المسألة لأهل القبور رفع العذاب منهم جميعا.

والفرائض بهذا المعنى جمع فريضة، وهي ما قدر من السهام في الميراث، وإنما سمي هذا العلم فرائض؛ لأن الفرض التقدير وسهام هذا العلم مقدرة والعالم به فرضي. كذا في الكافي؛ لأن في النسبة يرد الجمع إلى الواحد، ثم ينسب إليه بحذف الياء، كما يقال في ثقيف: ثقفي.

وقال السيد السند الشريف الشريف - قدس سره -: ولا يبعد أن يجعل لفظ الفرائض في الاصطلاح جاريا مجرى الأعلام كالأنصار فيقال في النسبة: فرائضي، كما يقال: أنصاري، وإن كان قياسه في أصله أن يقال: فرضي.

وقال بعضهم إنما قال عليه السلام: «نصف العلم». باعتبار المشقة؛ لأن في تصحيح الفرائض مشقة كثيرة، وفي تصحيح مسائل الفقه ليس بمشقة كثيرة.

والحاصل: أن مشقة الفقه مع كثرة أجزائه وكثرة مشقة الفرائض مع قلة أجزائه نزلها منزلة شيئين متساويين، فيكون الفرائض نصف العلم باعتبار هذا.

(١) تقدم تخريج الحديث الدال عليه، ص.

وأما توجيه أن: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ ﴾ تعدل ربع القرآن[1]؛ فلأن الخطاب في القرآن إما للمؤمنين أو للكفار، والمؤمنون ضربان:

أحدهما: مؤمن بالكتاب الأول، فخوطب بالإيمان بالكتاب الثاني وهو القرآن، كقوله -عز وجل-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾[2]. يعني: يا أيها الذي آمنوا بالكتاب الأول آمنوا بمحمد والقرآن.

الضرب الثاني: مؤمن بالكتاب الأول والآخر، وهم هذه الأمة؛ خوطبوا بتكميل الإيمان من فعل العبادات ونحوها من الفروع نحو: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ ﴾[3]، ﴿ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ﴾[4]. وأشباه ذلك.

والكفار أيضا ضربان:

ضرب يخاطب بالدعاء إلى الإيمان: نحو: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾[5]، ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾[6]. ونحو ذلك.

وضرب يخاطب بالتبرؤ مما هو عليه: نحو: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ ﴾[7]. إلى آخرها. فأمر النبي - ﷺ - أن يخاطبهم بأنه متبرئ منهم ومما يعبدون، فكانت هذه السورة ربع القرآن بهذا الاعتبار.

❁ ❁ ❁

(١) تقدم تخريج الحديث الدال عليه، ص.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٣٦.
(٣) سورة الجمعة، الآية: ٩.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٢١.
(٦) سورة الأنفال، الآية: ٣٨.
(٧) سورة الكافرون، الآيتان ١، ٢.

خاتمة

قولنا: (هذه السورة تعدل نصف القرآن، أو ثلثه، أو ربعه). يحتمل أنها تعدله في أجر قراءته، ويحتمل أنها تعدله في اقتسام مضمونه، وقد أشرنا إلى الاحتمالين جميعا، والله - عز وجل - أعلم بالصواب[1].

(١) قال الحافظ: حمله بعض العلماء على ظاهره فقال هي ثلث باعتبار معاني القرآن لأنه أحكام وأخبار وتوحيد وقد اشتملت هي على القسم الثالث فكانت ثلثا بهذا الاعتبار ويستأنس لهذا بما أخرجه أبو عبيدة من حديث أبي الدرداء قال جزأ النبي ﷺ القرآن ثلاثة أجزاء فجعل قل هو الله أحد جزءا من أجزاء القرآن وقال القرطبي اشتملت هذه السورة على اسمين من أسماء الله تعالى يتضمنان جميع أصناف الكمال لم يوجدا في غيرها من السور وهما الأحد الصمد لأنهما يدلان على أحدية الذات المقدسة الموصوفة بجميع أوصاف الكمال وبيان ذلك أن الأحد يشعر بوجوده الخاص الذي لا يشاركه فيه غيره والصمد يشعر بجميع أوصاف الكمال لأنه الذي انتهى إليه سؤدده فكان مرجع الطلب منه وإليه ولا يتم ذلك على وجه التحقيق إلا لمن حاز جميع خصال الكمال وذلك لا يصلح إلا لله تعالى فلما اشتملت هذه السورة على معرفة الذات المقدسة كانت بالنسبة إلى تمام المعرفة بصفات الذات وصفات الفعل ثناءا اه وقال غيره تضمنت هذه السورة توجيه الاعتقاد وصدق المعرفة وما يجب إثباته لله من الأحدية المنافية لمطلق الشركة والصمدية المثبتة له جميع صفات الكمال الذي لا يلحقه نقص ونفي الولد والوالد المقرر لكمال المعنى ونفي الكفء المتضمن لنفي الشبيه والنظير وهذه مجامع التوحيد الاعتقادي ولذلك عادلت ثلث القرآن لأن القرآن خبر وإنشاء والإنشاء أمر ونهي وإباحة والخبر خبر عن الخالق وخبر عن خلقه فأخلصت سورة الإخلاص الخبر عن الله وخلصت قارئها من الشرك الاعتقادي ومنهم من حمل المثلية على تحصيل الثواب فقال معنى كونها ثلث القرآن أن ثواب قراءتها يحصل للقارئ مثل ثواب من قرأ =

= ثلث القرآن وقيل مثله بغير تضعيف وهي دعوى بغير دليل ويؤيد الإطلاق ما أخرجه مسلم من حديث أبي الدرداء فذكر نحو حديث أبي سعيد الأخير وقال فيه قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن ولمسلم أيضا من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ احشدوا فسأقرأ عليكم ثلث القرآن فخرج فقرأ قل هو الله أحد ثم قال ألا إنها تعدل ثلث القرآن ولأبي عبيد من حديث أبي بن كعب من قرأقل هو الله أحد فكأنما قرأ ثلث القرآن وإذا حمل ذلك على ظاهره فهل ذلك لثلث من القرآن معين أو لأي ثلث فرض منه فيه نظر ويلزم على الثاني أن من قرأها ثلاثا كان كمن قرأختمة كاملة وقيل المراد من عمل بما تضمنته من الإخلاص والتوحيد كان كمن قرأثلث القرآن وادعى بعضهم أن قوله تعدل ثلث القرآن يختص بصاحب الواقعة لأنه لما رددها في ليلته كان كمن قرأثلث القرآن بغير ترديد قال القابسي ولعل الرجل الذي جرى له ذلك لم يكن يحفظ غيرها فلذلك استقل عمله فقال له الشارع ذلك ترغيبا له في عمل الخير وإن قل وقال بن عبد البر من لم يتأول هذا الحديث أخلص ممن أجاب فيه بالرأي وفي الحديث إثبات فضل قل هو الله أحد وقد قال بعض العلماء إنها تضاهي كلمة التوحيد لما اشتملت عليه من الجمل المثبتة والنافية مع زيادة تعليل ومعنى النفي فيها أنه الخالق الرزاق المعبود لأنه ليس فوقه من يمنعه كالوالد ولا من يساويه في ذلك كالكفء ولا من يعينه على ذلك كالولد وفيه إلقاء العالم المسائل على أصحابه واستعمال اللفظ في غير ما يتبادر للفهم لأن المتبادر من إطلاق ثلث القرآن أن المراد ثلث حجمه المكتوب مثلا وقد ظهر أن ذلك غير مراد تنبيه أخرج الترمذي والحاكم وأبو الشيخ من حديث بن عباس رفعه إذا زلزلت تعدل نصف القرآن والكافرون تعدل ربع القرآن

راجع فتح الباري ٩/ ٦١.

فصل

وردتِ السُّـنَّةُ بتأكيـدِ أمـر القلاقـل[1]: وهـي سـورة الكافـرون والإخـلاص والفلق والناس، وبتأكيد أمر المعوذات: وهي الثلاث الأخر، وقد تكلمنا على الأولين فلنتكلم على الآخرين.

وإنما سميت هذه المعوذات بكسر الواو؛ لأن الله -عز وجل- أنزلهما معوذات لنبيه -عليه الصلاة والسلام- حين سحره لبيد بن الأعصم اليهودي[2]، وليعوذ بها أمته، وإن كان لسورة الإخلاص سبب آخر[3]، والكلام في نكت:

إحداهـن: لما كانـت الصفات تابعة للذات، كان اسـم الذات مقدمـا على الصفات، وسـورة الإخلاص مشتملة على اسـم الذات، فلذلك قد قدمت في التعوذ على سورة الفلق والناس لاشتمالهما على أسماء الصفات نحو: (رب الفلق) و (رب الناس، ملك الناس).

---

(١) القلاقل: فيه تأويلان:
أحدهما: قل (قل) في كل سورة ذكر في أوائلها لأنه منها.
والثاني: احفظ السورة التي في أولها (قل) لتأكيدها بالأمر بقراءتها.
تفسير الماوردي٦/ ٣٧٧.

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٦٣، رقم ٢٤٣٩٣)، والبخارى (٥/ ٢٢٥٢، رقم ٥٧١٦)، ومسـلم (٤/ ١٧١٩، رقم ٢١٨٩)، وابن ماجه (٢/ ١١٧٣، رقم ٣٥٤٥). وأخرجه أيضًا: الشافعى (١/ ٣٨٢)، والنسائى فى الكبرى (٤/ ٣٨٠، رقم ٧٦١٥).
ولبيـد بـن أعصم، رجـل من بنى زريق حليـف اليهود، كان منافقًـا وكان أعلم الناس بالسـحر. انظر السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٤٨، وطبقات ابن سعد ٢/ ١٩٧.

(٣) ينظر القرطبي ٢٠/ ٢٥١، والدر المنثور ٦/ ٤١٧.

الثانيـة: معنى (أعوذ) ألجأ وألوذ ﴿بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾[1]. يعني: فلق الصبح، من قوله - عز وجل-: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾[2]. وقول عائشـة[3]: كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح[4]. وأضاف نفسـه - عز وجل- إلى الفلق؛ لأنه من أعظم الآيات، ولذلك أقسـم

(١) سورة الفلق، الآية: ١.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٩٦.

(٣) عائشة أم المؤمنين (٩ ق هـ-٥٨ هـ/ ٦١٣-٦٧٨ م) هي: عائشة بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن عثمان، من قريش: أفقه نساء المسلمين وأعلمهن بالدين والأدب. كانت تكنى بأم عبد الله. تزوجها النبي ﷺ في السـنة الثانية بعد الهجرة، فكانت أحب نسـائه إليه، وأكثرهن رواية للحديث عنه. ولها خطب ومواقف. وما كان يحدث لها أمر إلا أنشـدت فيه شـعرا. وكان أكابر الصحابة يسـألونها عن الفرائـض فتجيبهم. وكان (مسـروق) إذا روى عنها يقول: حدثتني الصديقة بنت الصديق. وتوفيت فـي المدينـة. ترجمتها رضي اللـه عنها في: حلية الأولياء ٢/ ٤٣، والاسـتيعاب ٤/ ١٨٨١، وأسـد الغابة ٧/ ١٨٨، وسـير أعلام النبلاء ٢/ ١٣٥، والإصابة ١٣/ ٣٨، وشذرات الذهب: ١/ ٩ و ٦١-٦٣، والأعلام ٣/ ٢٤٠.

(٤) فلق الصبح: ضياء الصبح ونوره.

والحديث إسـناده صحيح على شـرط الشـيخين. ابن مبارك: هـو عبد الله، ومعمر: هو ابن راشـد، ويونس: هو ابن يزيد الأيلي.

وأخرجه مطولاً البخاري (٤٩٥٣) من طريق عبد الله يبن المبارك، بهذا الإسناد. وجاء عنده بلفظ: «الصادقة» دون شك.

وأخرجـه مسـلم (١٦٠) (٢٥٢)، والطبري في «التفسـير» ٣٠/ ٢٥٢، وأبـو عوانة ١/ ١١٠-١١٢، وابـن منده في «الإيمان» (٦٨١)، وألبيهقي في «السـنن الكبرى» ٩/ ٥-٦ من طريق ابن وهب، عن يونس، بهذا الإسناد، بلفظ: «الصادقة «دون شك.

وأخرجه ابن سعد ١/ ١٩٤، ومسلم (١٦٠) (٢٥٣)، وابن أبي عاصم في «الأوائل» (٩٩)، والحاكم في «المستدرك» ٣/ ١٨٣-١٨٤ من طرق عن معمر ابن راشد، به. قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه! قلنا: بل خرجاه كما رأيت.

وأخرجـه الطيالسـي (١٤٦٧) و (١٤٦٩)، وابـن سـعد ١/ ١٩٤، والترمـذي (٣٦٣٢)، وابـن أبـي عاصـم فـي «الأوائل» (١٠٠)، والعسـكري فـي «الأوائـل ١/ ١٤٥، والطبري في «التفسـير» ٣٠/ ٢٥١، والآجري في «الشريعة» ص٤٣٩، والبيهقي في «السنن الكبرى» ٧/ ٥١ من طرق، عن الزهري، به.

به في قوله -عز وجل-: ﴿ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ ﴾[1].

ويقال: فلق الصبح وفرق الصبح، وقد قال -عز وجل-: ﴿ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ ﴾[2]. فأتى بمادة «فلق» و «فرق» فهما بمعنى.

وقوله -عز وجل-: ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ ﴾[3]. هذا عام يتناول كل ما سوى الله -عز وجل- لأنه خلقه.

وقوله -عز وجل-: ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ ﴾[4] إلى آخر السورة هو من باب عطف الخاص على العام، لأن (الغاسق) و (النفاثات) و (الحاسد) من جملة ما خلق الله، عز وجل.

وإنما اختصت هذه بالذكر بعد العموم؛ لأن متعلقاتها مهمة جدًّا، وذلك لأن قوام الإنسان ببدنه وعقله ودينه وباقي نعم الله -عز وجل- عليه.

والغاسق إذا وقب: قيل: هو الثعبان إذا وثب وضرب، وهو يفسد البدن.

والنفاثات: السحارات، والسحر مفسد للعقل؛ لأن الإنسان إذا سحر غلب خياله على عقله فعاد يخيل له ما لا وجود له في الخارج، وهو مفسد للبدن أيضا، ولذلك وجب القود[5] بالقتل به عند جماعة من أهل العلم[6].

والحاسد يفسد النعمة بالسعي في زوالها ببدنه ونفسه. ومن جملة النعمة الدين الحق، وقد يسعى الإنسان في إفساد الدين حَسَدًا، كما حكى الله -عز وجل- عن أهل الكتاب

(١) سورة التكوير، الآية: ١٨.
(٢) سورة الشعراء، الآية: ٦٣.
(٣) سورة الفلق، الآية: ٢.
(٤) سورة الفلق، الآية: ٣.
(٥) القود: القصاص.
(٦) ينظر تفسير القرطبي ٢/ ٤٧، وفتح الباري ١٠/ ٢٢٤.

أنهم كانوا يفعلون ذلك حسدا بالمسلمين، حتى قال -عز وجل-: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾[1]. ﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ ﴾[2] الآية.

وإن قيل: إن الغاسق هو القمر[3]، فإن له- فيما يقال- تأثيرا في الأجسام الأرضية؛ كتقطيع الثياب الكتان، وتمديد الزروع، ودوران المد والجزر معه في بعض البحار، فلعل له تأثيرات أخرى فيها شرور.

وإن قيل: إن الغاسق هو الفرج - على ما قيل[4]- فشره ظاهر، وأكثر شرور العالم من جهته.

وإن قيل: هو الليل، فإن الشر فيه ظاهر مزعج.

وأما ظهوره فلانتشار الهوام[5] والشياطين فيه من الجن والإنس وغير ذلك. وأما إزعاجه فلأنه يلقى الإنسان نائما أو ساكنا فيكون له من الروع ما ليس له في النهار.

الثالثة: قوله -عز وجل-: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ ﴾[6]. الرب والملك والإله مترتبة في العموم والخصوص، فالرب أعمها؛ لأنه

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٩. (٢) سورة آل عمران، الآية: ٦٩.

(٣) في تفسير أبي السعود (٩/ ٢١٥):
وقيل الغاسق هو القمر إذا امتلأ ووقوبه دخوله في الخسوف واسوداده لما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت أخذ رسول الله ﷺ بيدي فأشار إلى القمر فقال تعوذي بالله تعالى من شر هذا الغاسق إذا وقب وقيل التعبير عن القمر بالغاسق لأن جرمه مظلم وإنما يستنير بضوء الشمس ووقوبه المحاق في آخر الشهر والمنجمون يعدونه نحسا ولذلك لا يشتغل السحرة بالسحر المورث للتمريض إلا في ذلك الوقت قيل وهو المناسب لسبب النزول وقيل الغاسق الثريا ووقوبها سقوطها لأنها إذا سقطت كثرت الأمراض والطواعين وقيل هو كل شر يعتري الإنسان ووقوبه هجومه

(٤) وهو تفسير لا يصح، راجع الإتقان في علوم القرآن ٢/ ١٨٧.

(٥) الهوام وهى الحيات وكل ذى سم يقتل سمه.

(٦) سورة الناس، الآيات: ١ - ٣.

قد يكون ملكا وقد لا يكون، وكذلك الملك قد يكون إلها وهو الله -عز وجل- وحده، وقد لا يكون.

وأضاف الله -عز وجل- نفسه إلى الناس؛ لأنهم من أشراف العالم، كما كان الفلق من أعظم الآيات، فإذا تعوذ الإنسان بإله الناس امتنع الشيطان من الإقدام عليه امتناعا اختياريا واضطراريا لعظمة من تعوذ به، وهذا موجود في عرف الناس.

﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ﴾[1]. أي: الذي يوسوس كما بين بعد. والوسوسة في الأصل: الحركة والاضطراب، قال الأعشى[2]:

تَسْمَعُ لِلْحَلْيِ وَسْوَاسًا إِذَا انْصَرَفَتْ كَمَا يُنابُ بِرِيحٍ عِشْرِقٌ[3] زَجِلُ[4]

ووسوسة الشيطان حركة روحانية خفية يلقيها الشيطان إلى نفس الإنسان بواسطة جريانه منه مجرى الدم، أو كما يشاء الله -عز وجل-: ﴿ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ﴾[5] الذي يوسوس تارة ويخنس: أي يميل ويسكن تارة.

---

(١) سورة الناس، الآية: ٤.

(٢) هو: ميمون بن قيس بن جندل، من بني قيس بن ثعلبة الوائلي، أبو بصير، المعروف بأعشى قيس، ويقال له: أعشى بكر بن وائل، والأعشى الكبير: من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية، وأحد أصحاب المعلقات. كان كثير الوفود على الملوك من العرب والفرس، غزير الشعر، يسلك فيه كل مسلك، وليس أحد ممن عرف قبله أكثر شعرا منه. وكان يغني بشعره، فسمي (صناجة العرب) قال البغدادي: كان يفد على الملوك ولا سيما ملوك فارس، عاش عمرا طويلا، وأدرك الإسلام ولم يسلم. ولقب بالأعشى لضعف بصره. وعمي في أواخر عمره. مولده ووفاته في قرية (منفوحة) باليمامة قرب مدينة (الرياض) وفيها داره، وبها قبره. أخباره كثيرة، ومطلع معلقته:

ما بكاء الكبير بالأطلال وسؤالي وما ترد سؤالي

ترجمته في الأغاني ٩/ ١٠٨، وجمهرة أشعار العرب ٢٩، ٥٦ ومعجم االشعراء للمرزباني ٤٠١ والشعر والشعراء ١/ ٧٩، ورغبة الآمل ٤/ ٧٠.

(٣) والعشرق: شجر صغير له حب إذا جف وحركه الريح سمع له صوت. والزجل: الصوت العالي.

(٤) ديوان الأعشى ص ٥٥

(٥) سورة الناس، الآية: ٤.

ويقال: إن الشيطان خاتم على قلب ابن آدم، فإذا غفل عن الذكر وسوس الشيطان، فإذا ذكر الله -عز وجل- خنس: أي مال وسكت عن الوسوسة[1]، ومنه ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ١٦ ﴾[2]. يعني: النجوم تجري في أفلاكها ثم تخنس: أي: تميل للغروب، أو تجري في أفلاك استقامتها، ثم تميل في أفلاك تداويرها، ونحوها من أحوال رجوعها.

قوله -عز وجل-: ﴿ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ٥ ﴾[3]. يحتمل هذا وجهين:

أحدهما: أن يكون المعنى الذي يوقع الوسوسة في صدور الناس، فيكون ذلك أعم من أن يكون هو في الصدور أو خارجا عنها.

الثاني: أن يكون المعنى: الذي يوسوس كائنا أو مستقرا في صدور الناس، فيكون محل الجار والمجرور نصبا على الحال، وهو أوفق للسنة الصحيحة، وهو قوله ﷺ: «**إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم**»[4].

واعلم أن الوسوسة على القلب، وإنما يعبر عنه بالصدر؛ لأنه محل القلب، كما عبر عن العقل بالقلب لأنه محله في قوله -عز وجل-: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ ﴾[5].

---

(١) الطبري ٣٠/ ٢٢٩، والدر المنثور ٦/ ٤٢٠.

(٢) سورة التكوير، الآيتان: ١٥، ١٦.

(٣) سورة الناس، الآية: ٥.

(٤) من حديث أنس: أخرجه أحمد (٣/ ١٥٦، رقم ١٢٦١٤)، والبخارى فى الأدب المفرد (ص ٤٣٨، رقم ١٢٨٨)، ومسلم (٤/ ١٧١٢، رقم ٢١٧٤)، وأبو داود (٤/ ٢٣٠، رقم ٤٧١٩). وأخرجه أيضًا: أبو يعلى (٦/ ١٨٦، رقم ٣٤٧٠)، والقضاعى (٢/ ١١٣، رقم ٩٩٥).
ومن حديث صفية: أخرجه أحمد (٦/ ٣٣٧، رقم ٢٦٩٠٥)، والبخارى (٣/ ١١٩٥، رقم ٣١٠٧)، ومسلم (٤/ ١٧١٢، رقم ٢١٧٥)، وأبو داود (٢/ ٣٣٣، رقم ٢٤٧٠)، وابن ماجه (١/ ٥٦٦، رقم ١٧٧٩). وأخرجه أيضًا: إسحاق بن راهويه (١/ ٢٥٨، رقم ٨)، وعبد بن حميد (ص ٤٤٩، رقم ١٥٥٦)، وأبو يعلى (١٣/ ٣٨، رقم ٧١٢١)، والطبرانى (٢٤/ ٧١، رقم ١٨٩).

(٥) سورة ق، الآية: ٣٧.

وقوله -عز وجل-: ﴿ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾[1]. هذا بيان لخنس الخناس وتقسيم له إلى نوعين؛ الجنة والناس، أي: من شر الوسواس الخناس الذي هو من الجنة والناس، وهذا نص قوله -عز وجل-: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾[2]. وهو معنى قولهم: ﴿ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ ﴾[3]. في بعض الأقوال والله -عز وجل- أعلم بالصواب.

❁ ❁ ❁

(١) سورة الناس، الآية: ٦.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١١٢.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٢٨.